الطاهرة
Al-Tahirah

December 2025 ■ ٢٥١ ■ www.alhodapub.com

الزهراء عليها السلام:
قدوةُ المرأةِ المعاصرة

هوية المرأة بين
تكريم القرآن وعنف
النسوية المعاصرة

أوجه الشبه بين
مريم العذراء
وفاطمة الزهراء(ع)

المرأة في نموذجها الثالث:
إشراقة من فاطمة الزهراء(ع)

لبنان LL6000	الامارات العربية AED25.00	قطر ..... QR 20.00	كندا ..... CAD 3.00	تركيا ..... TL 5.50
سوريا SYP200.00	المملكة العربية السعودية ..... SAR 20.00	عمان ..... RO 20.00	العراق ..... D 4 50	امريكا ..... JSD 3.00
كويت ..... KD 2،000	السودان S1.22	المملكة المتحدة S1.22	تونس ..... DT 4،000	ماليزيا ..... MYR 4،000

المرأة في الجاهلية الثانية ١٦
الدكتور حازم دوس العتابي

السيدة الزهراء بوصفها زوجة -قراءة تحليلية ٢٠
سيدة معصومة طباطبائي

أوجه الشبه بين مريم العذراء وفاطمة الزهراء(ع) ٢٤

٢٨
الملهمات

٣٤ في حضرة الكتاب

ريحانة المعنى ٤٠
فاتحة معمري

المدير المسؤول: **مهدى فياضي**

رئيس التحرير: **د. محمدجواد محمدي مجد**

تم هذا العدد بالتعاون مع المديرية العامة لشؤون المرأة والأسرة في منظمة الثقافة والعلاقات الإسلامية

هيئة التحرير:

د. محمدجواد محمدي مجد- إيران

د. زينب رستكار بناه - إيران

د. مواهب الخطيب - العراق

د. مريم سجادي - إيران

د. نورا غريب - ليبيا

د. فاطمة بخيت - اليمن

سندس الأسعد - لبنان

مدير العلاقات العامة: **مريم حمز ه لو**

المدير الفني: **اميد بهزادي**

العنوان: **ايران . طهران**

ص.ب ٣٨٩٩ - ١٤١٥٥

فاكس: **٠٠٩٨٨٨٩٠٢٧٢٥**

هاتف: **٠٠٩٨٢١٨٨٩٣٤٣٠٢**

٠٠٩٨٢١٨٨٩٣٤٣٠٣

طهران-شارع وليعصر

اول شارع فاطمي. رقم ١٩٢٤

الرمز البريدي: **٩٣٩١٧ - ١٤١٥٨**

Website: www.alhodapub.com

Email:alhodapub@gmail.com

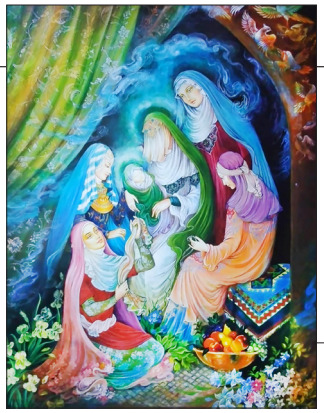

٤

الزهراء عليها السلام: قدوةُ المرأةِ المعاصرة

د. محمّدجواد محمّدي مجد

٨

المرأة في نموذجها الثالث؛إشراقة من فاطمة الزهراء(ع)

صغرى عاشوري

١١

هوية المرأة بين تكريم القرآن وعنف النسوية المعاصرة

الدكتورة مواهب صالح مهدي الخطيب

١٤

الزَّهْراءُ (عَلَيْهَا السَّلام): الفِدَائِيَّةُ الأُولَى وَقَائِدَةُ النِّسَاءِ الرِّسَالِيَّاتِ

سُنْدُس الأَسْعَد

الزهراء عليها السلام: قدوةُ المرأةِ المعاصرة

رئيس التحرير:
د. محمّدجواد محمّدي مجد
دكتوراه في الدراسات
الإسلامية – إيران

إنّ الأزمات المتراكمة التي تطوّق المرأة عبر العالم، من الشرق إلى الغرب، لا تستمدّ جذورها من مجرّد سياقات اجتماعية أو سياسية آنية، بل من تصوّراتٍ مختلّةٍ عن حقيقة المرأة وموقعها الوجودي ووظيفتها الحضارية. فحين تُختزل المرأة إلى كائنٍ منزوٍ خاضعٍ ينتظر من يمنحُه القيمة، أو تُختزل إلى جسدٍ مُستَثمر في أسواق الشهوة والرأسمال، تُفقد إنسانيّتها بمقدار انحراف هذه التصوّرات. ومن هنا تنطلق ضرورة البحث عن نموذج ثالث، يستلّ المرأة من فوهة هذا التناقض العنيف بين الانكفاء والاستلاب، بين الحجر والتشييء، ويقدّم لها إطاراً وجودياً جامعاً يُعيد إليها مكانتها، كفاعلٍ تاريخيٍّ، وصانعةِ حضارةٍ، وشريكةٍ في إنتاج المعنى.

هذا النموذج الثالث لا يقوم على المصالحة الشكلية بين طرفين، بل يؤسّس موقفاً معرفياً وأخلاقياً جديداً في مواجهة الاختزالَين معاً: اختزال المرأة الشرقية التقليدية في الدور المنزلي المغلق، واختزال المرأة الغربية الحداثية في الدور الوظيفي الاستهلاكي المنفصل عن جوهر إنسانيتها. إنّ هذين الطرفين – رغم تناقضهما الظاهري – يشتركان في نتيجة واحدة: تغييب المرأة بوصفها فاعلاً معرفياً وروحياً وحضارياً، وتحويلها إلى عنصرٍ تابعٍ لمنظومات القوّة السائدة. وهنا تُطلّ علينا سيرة الزهراء فاطمة عليها السلام في التاريخ الإسلامي بوصفها المثال الأعلى لتلك الفاعلية الإنسانية المتكاملة؛ فليست الزهراء مجرّد رمزٍ روحانيٍّ في ذاكرة المسلمين، بل نموذجاً

عملياً لإمكان المرأة في صناعة الحضارة وتغيير وجه التاريخ.

لقد جاءت ولادة فاطمة الزهراء عليها السلام في ظرفٍ كان المجتمع الجاهليّ فيه يعيش أزمة عميقة في تصوّره للمرأة. كانت الأنثى عبئاً مرذولاً عند المشركين، حتى بلغ الاعوجاج الحضاري حدّ وأد البنات. إنّ المجتمع الذي دفن أنوثته في الرمل، كان يدفن معه مستقبل الإنسان. فجاءت الزهراء هديّة السماء، إعلاناً إلهياً بأنّ مستقبل الرسالة، بل مستقبل الحضارة الإلهيّة، سيُصاغ على يد امرأة.

ولعلّ في آية الكوثر دلالةً قاطعة على رسوخ هذا الحضور الأنثوي في النظام الإلهي للاستخلاف: «إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ». إنّها إشارة إلى الامتداد الخالد للرّسالة من خلال محورٍ هو فاطمة لا غير، حتى صار الرسول نفسه يُعرّف من خلال اقترانه بهذه الأنثى المعصومة التي جعلها الله قلَب العترة، وبها يستمرّ خطّ الإمامة الذي يصنع تاريخ الهداية.

وحين نقف عند تجربة الزهراء عليها السلام في عهد النبوّة، نلمس في حياتها تلازماً فريداً بين سموّ الروح وعمق العقل وحضور الدور الاجتماعي والسياسي. لم تكن الزهراء امرأةً مكتفيةً بعبادةٍ منزوية، ولم تكن فاعليتها مقتصرة على مساحات الوجد الروحي، بل كانت حاضرةً في كلّ الميادين التي رسمها الوحي. فقد حملت عبء المواجهة إلى جانب أبيها نبيّ الإسلام، وشاركت في رسم وعي المجتمع الجديد، وكانت صوت الحقّ في لحظات الفتنة الكبرى. والإنسان الذي يقرأ خطبتها الفدكية بتأمّل يدرك أننا أمام شخصية تشكّلت وفق أعلى مستويات العقل السياسي والاجتماعي، ولسنا أمام امرأةٍ مهمّشَة تفكّر من زاوية المعيش اليومي الضيّق. لقد شرحت فاطمة فلسفة التشريع وأهداف الشريعة ومسؤولية الدولة والمجتمع بلغة العالم الخبير بمآلات الأحداث، المُدرك لموازين القوى.

وهنا تكتمل الدلالة: إنّها زوجةٌ وأمٌّ في بيتٍ هو أشرف بيوت التاريخ: بيت عليّ وأمّ الحسنين. ولكنّ كونها زوجةً وأمّاً لم يمنعها من أن تكون مدرسةً في الفكر والجهاد والربانيّة. فهي صانعة الأئمّة، ومصدر النور الذي امتدّ في خطّ الإمامة، وفي الوقت نفسه، الصوت الشاهد على انحرافات السلطة والضمير الحيّ في وجه التاريخ. بهذا التكامل بين الرسالة الأسرية والدور المجتمعي، تدمغ الزهراءُ كلّ المزاعم التي تحاول فكّ الارتباط بين المرأة والأسرة من جهة، وبين المرأة والمسؤولية الحضارية من جهة أخرى. فالبيت ليس سجناً للمرأة، بل محرابُ تكوينٍ للإنسان، ومسؤولية الاستخلاف لا تُمارَس خارج الحياة، بل من عمق علاقة الإنسان بالأسرة والمجتمع.

إنّ النموذج الذي تقدّمه الزهراء هو عينُ ما تحتاجه المرأة المعاصرة. فالحداثة الغربية وإن رفعت شعارات الحرية والمساواة، إلا أنّها انتهت بالمرأة إلى سوق الاستهلاك؛ أي إنّها أخرجتها من سلطة الأب أو الزوج لتدخلها في سلطة السوق والإعلان والجسد، وبذلك تحوّلت من «دور إنسانيّ» إلى «وظيفة استهلاكية». أمّا التقليد الشرقي الجامد فقد اختزل المرأة في وظيفة منزلية منفصلة عن الشأن العام، وجعلها كائناً مهمّشاً على هامش التاريخ. وبين هذين النموذجين تبرز حاجة الإنسانية اليوم إلى نموذجٍ يُعيد التوازن بين الروح والجسد، بين الخصوصية الأسرية والدور الاجتماعي، بين الحاجة إلى الأمان والحاجة إلى التأثير الحضاري. وهذا ما نجده متجلّياً في شخصية الزهراء عليها السلام، التي تمثّل نقطة التقاء بين طمأنينة الأنوثة وكرامة العقل وفاعلية الرسالة.

ليس النموذج الزهرائي إذاً خطاباً عاطفياً يهدف إلى تمجيد شخصية تاريخية، بل نظرية معرفية حول تكوين المرأة ودورها. فالنموذج المأخوذ من حياة الزهراء يقوم على مبادئ أساسية، منها:

أولاً: المرأة ذات رسالة إنسانية تشاركية في صناعة الحضارة، وليست مجرّد مكمّل.

ثانياً: الأسرة ليست عائقاً أمام هذا الدور، بل هي قاعدته وشرطُ نجاحه، إذ منها ينشأ بناء الإنسان.
ثالثاً: التوازن بين الأدوار يُصاغ في إطار هداية إلهية تمنع الانحراف نحو الاستغلال أو التشييء أو العزلة.
رابعاً: فاعلية المرأة لا تنفصل عن هويتها الروحية، فالقيمة العليا للإنسان تُستمدّ من قربه إلى الحقّ لا من موقعه في هرم الاقتصاد.

هذه المبادئ، حين تُفعَّل في المجتمع، تنتج نساءً قادراتٍ على صناعة التاريخ من داخل الحياة، لا من موقع الاعتراض السلبي أو الذوبان في أنظمة القوة. ومن هنا تتجسّد أهمية «المرأة في نموذجها الثالث»، ذلك التعبير البنائي الذي قدّمه قائد الثورة الإسلامية ليشير إلى ولادة نمطٍ جديد في حضور المرأة داخل الحضارة الإسلامية. فليس المقصود بالمرأة في نموذجها الثالث تلك المرأة الإيرانية وحدها؛ بل هو نموذج مفتوح لكلّ امرأةٍ مسلمة تؤمن بأنّ الوجود يحمل لها وظيفة أسمى من كونها موضوعاً للرغبة أو كائناً منزلياً معزولاً. إنّه مشروع أمّةٍ تريد أن تستعيد المرأة مكانتها في خطّ الولاية، حيث تكون شريكاً في بناء العالم على أساس العدل والرحمة.

وعند قراءة التاريخ القريب، نجد أنّ المشاركة النسوية في الثورة الإسلامية والدفاع المقدّس مثّلت شاهداً حيّاً على إمكانية تفعيل النموذج الزهرائي في عالمنا المعاصر. فقد انتقلت المرأة من مساحة التلقي إلى مساحة الإنتاج؛ ومن موقع المتأثر بالأحداث إلى موقع صانعها. وهذا التحوّل ليس حادثة عابرة بل بداية عصرٍ جديد لأدوار المرأة المسلمة. فالمرأة التي تخرج من بيتها لتدافع عن الوطن، ثم تعود إلى بيتها لتبني أسرة متماسكة، قد جمعت بين جناحي الوجود الإنساني: العطاء الخاص والعطاء العام. وهذا هو جوهر النموذج الثالث: لا إلغاء ولا إقصاء ولا تشييء، بل تكامل وفاعلية.

وفي مواجهة تحدّيات المستقبل، تشتدّ الحاجة إلى إحياء النموذج الزهرائي، خصوصاً مع تعاظم آثار العولمة الرقمية التي تحاول إعادة تشكيل تصوّر الإنسان عن نفسه. فالمرأة اليوم تُسحق بين مطرقة الشبكات التي تسوّق الوهم عبر صورٍ مصمّمة لإعادة صياغة الهوية على أساس الجسد، وسندانٍ يدّعي حماية المرأة بينما يصادر صوتها ورشدها. وفي هذه الفوضى، لا شيء يعيد الثقة إلى المرأة بإنسانيتها مثل النموذج الزهرائي الذي يضع قيمة الإنسان في عقله وروحه والتزامه الأخلاقي ورسالته في الحياة. فالزهراء عليه السلام لم تصبح مدرسة خالدة لأنها تزيّنت أو اشتهرت، بل لأنها مثّلت أعلى درجات النقاء والفاعلية الروحية والعقلية والاجتماعية. وما تحتاجه المرأة اليوم هو أن تتحرّر من عبادة الصورة إلى أفق الحقيقة، ومن إملاءات السوق إلى سلطان المعنى.
وحين نتأمّل أثر الزهراء على امتداد التاريخ الإسلامي نجد أنّ كلّ نهضةٍ وعي أو صحوةٍ كبرى داخل الأمّة كانت تستمدّ قوتها من حضور المرأة المؤمنة الواعية. ليس صدفةً أن يكون أوّل شهيد في خطّ المقاومة كانت امرأة، وليس مصادفةً أن تتقدّم المرأة اليوم ساحات المعرفة والجهاد المهني وخدمة المجتمع في كثير من البلدان الإسلامية. إنّها عودة الروح الزهرائية إلى صنع التاريخ، بعد أن أرهقت الحداثةُ النساءَ بأعباء التكميل لا التغيير.
ومن هنا، فإنّ مسؤولية المؤسسات الفكرية والإعلامية والبحثية أن تُعيد بناء الخطاب حول المرأة المعاصرة بعيداً عن النماذج الفاشلة التي فرضها الشرق والغرب، وأن تفتح المجال أمام قراءة حضارية إسلامية تنطلق من النموذج الزهرائي. فالمستقبل لن يكون امتداداً بسيطاً للماضي، ولا نسخاً لما ينتجه الآخرون، بل سيكون ثمرة رؤيةٍ جديدة لصناعة الإنسان. وما من رؤيةٍ أصفى ولا أقدر على بناء إنسانٍ كاملٍ من تلك التي قدّمتها فاطمة الزهراء عليها السلام بصمتها وجهادها وكلماتها؛ كلمةٌ تتّصل بالغيب وتبني الحاضر وترسم المستقبل.

ولعلّ هذا العصر يشهد بداية تفتّح النموذج الثالث في حياة المرأة المسلمة عبر العالم، حيث نجد آلاف النساء اللواتي يجمعن بين العلم والإيمان، بين الأمومة والقيادة، بين الأصالة والمعاصرة، دون أن يفقدن هويتهنّ أو يُلغَين في أنظمة القوّة. إنّهنّ ثمار مدرسةٍ زرعتها الزهراء قبل أربعة عشر قرناً، يوم وقفت في مسجد رسول الله تحاجج القوم بالدليل والبرهان، وتكشف الزيف وتعلن أنّ الحقّ لا يخنع ولو انحرفت السيوف.
إنّ هذا النموذج ليس ترفاً فكرياً ولا شعاراً دعائياً؛ بل مخرجاً تاريخياً للمرأة من الاستلاب والتشييء إلى التحرّر الحقيقي. فإذا كانت الليبرالية قد منحت المرأة حرّية الجسد لتصادر حرّية الروح، وإذا كان التقليد قد منح المرأة أمان الأسرة ليصادر حرّية العقل، فإنّ الزهراء عليها السلام تقدّم الحرّيتين معاً: حرّية الروح وحرّية العقل، في ظلّ هدايةٍ تمنح السكينة وتفتح أبواب الإبداع. والمرأة التي تملك هذين الجناحين هي وحدها التي تستطيع أن تصنع حضارةً من نور.
وفي الختام، فإنّ الإنسان المعاصر – رجلاً كان أو امرأة – يحتاج إلى إعادة

تعريف الذات وفق مرجعيةٍ تعترف له بكمال إنسانيته، وتحثّه على تحقيق أعلى مستويات الاستخلاف. وليس في تاريخ البشرية نموذجٌ أنقى ولا أسمى ولا أكمل من فاطمة الزهراء عليها السلام، التي جمعت المجد الروحي والعقلي والاجتماعي في حياةٍ قصيرة زمنياً، لكنها شاسعة حضارياً. فالزهراء ليست ذكرى نحتفي بها، بل مستقبلٌ علينا أن نبنيه. ليست قصة من الماضي، بل خريطة طريقٍ نحو الإنسان الكامل. وكلّ امرأةٍ تسير على خطاها، فإنّما تمشي باتجاه النور، وتتخلص من كلّ أشكال العبودية والتشييء، لتكون خليفة الله في الأرض، كما أراد الخالق سبحانه للإنسان أن يكون.

سلامٌ على الزهراء يوم وُلدت، ويوم جاهدت في سبيل الحق، ويوم انتقلت إلى جوار ربّها راضيةً مرضيّة. وسلامٌ على كلّ امرأةٍ تسير في أثرها، لترسم للعالم وجهاً جديداً للحضارة، وتُعلن – بوجودها وبفاعليتها – أنّ زمن المرأة في نموذجها الثالث قد بدأ، وأنّ الإنسانية ماضية نحو تجلّي نور الزهراء في مستقبلها.

المرأة في نموذجها الثالث:
إشراقة من فاطمة الزهراء(ع)

صغرى عاشوري. دكتوراه في دراسات المرأة. إيران

إنّ قضيّة المرأة اليوم تُعدّ من أهمّ قضايا العالم المعاصر، حتى يمكن القول إنّ كيفية تعريف المرأة والتعامل معها تُشكّل واجهة الحضارات ورأسها الظاهر. ففي تاريخ الشرق غالباً ما كانت المرأة كائناً منزوياً حبيس البيت، لا يُسمح لها بالمشاركة في القرارات المصيرية داخل الأسرة، فضلاً عن القرارات السياسية والاقتصادية. وإذا شهدنا في بعض مراحل تاريخ الشرق – كالصين مثلاً – صعود نساء إلى سدّة الحكم، فإنّ هؤلاء النساء غالباً ما عُرفن بأشدّ الأساليب عنفاً في إدارة السلطة. فالإمبراطورة لو تشي من أسرة هان، اتّبعت أكثر الوسائل وحشيةً للتخلّص من خصومها السياسيين. وكذلك الإمبراطورة الأرملة تسي شي من أسرة تشينغ، التي حكمت الصين في إحدى أكثر فتراتها اضطراباً – بما فيها من ثورات وتدخّلات أجنبية وإصلاحات فاشلة – واتُّهمت بقتل خصومها وإجهاض الإصلاحات الضرورية ودفع الإمبراطورية نحو الانهيار.

إنّ هـذا التطـرّف فـي القسـوة يشـير إلـى حجـم الضيـق والانغـلاق الـذي فُـرض على المرأة الشـرقية؛ حتـى إذا حاولت بعض النسـاء كسـر هذه القيود فإنّهنّ اتّجهن نحو أشـدّ الأسـاليب قسـوةً وبأوسـع نطـاق للتخلّـص مـن كلّ منافـس يحـول دون حصولهـنّ علـى قدرٍ مـن النفـوذ وحرّيـة الفعل. ومـن تجلّيـات العزلة أيضاً لجـوءُ بعض النسـاء إلى الخرافة والسِّـحر والتعاويذ سـعياً لتحقيق مطالبهنّ، إذ لـم يكنّ يمتلكن سُـبلاً شـرعيّة للمشـاركة والفاعلية. وقـد ظهر ذلك بوضـوح سـواء في قصـور الملـوك أو في أوسـاط العامّة.

أمّـا فـي الحضـارة الغربيـة – وهـي حضـارة متشـابكة مـع الثـورة الصناعيـة وسـطوة العلـم – فتتجلّـى صـورة المرأة أساسـاً في بروز الجسـد واللطافـة الأنثويـة أكثـر مـن بروزهـا فـي ميـدان الفعـل العلمـي. فالمـرأة حاضـرة فـي المجتمـع وتمـارس دوراً عامـاً وتؤثّر فـي تقـدّم الدولـة، ولكـنّ هـذا الظهـور غالبـاً مـا يقـع ضمـن إطـار وظيفـي يخـدم آليـات الرأسـمالية. فالمـرأة الغربيـة ليسـت فاعلاً حـرّاً عاقـلاً كمـا يُقدّمها الخطاب السـائد، بـل مثالٌ تخييلـيّ لفاعليةٍ مُصـادرة. وإن ظهـرت بصفـة "مقـرّرة حقـوق الإنسـان" لإدانـة بلـدٍ مسـلم بذريعـة الدفـاع عـن حقوق النسـاء فيـه، فإنّ هـذه المواقف تظـلّ اسـتعراضاً بعيـداً عـن الحقيقـة؛ إذ لا تتحـرّك تجـاه الحلفـاء الرأسـماليين الذيـن هـم أول مـن ينتهـك حقـوق النسـاء بفظاعة. إنّ المـرأة هنـاك تُعامـل كأداة لبلـوغ غايات سياسـية واقتصادية، لا كشـخصية مؤثّـرة وصانعـة لمسـارات التاريـخ.

فـي المقابـل، تحتـلّ المرأة فـي الحضارة الإسـلامية موقعـاً محورياً فـي تأسـيس واسـتقامة وتقـدّم هـذه الحضـارة. فهـي بحضورهـا الواعـي ورسـالتها المجتمعيـة، ترسـم ملامـح المسـتقبل الحضاري للأمّة.

وُلـد النبـيّ الأكـرم محمّـد(ص) يتيماً مـن الأب، وكان لـه في عصر الجاهليـة أمٌّ طاهـرة عفيفـة حكيمـة. ولمـا بُعـث، كانـت زوجتـه خديجـة(ع) – أكبـر تجّـار قريـش – أول مـن آمـن بـه ووقفت إلى جانبـه بـكلّ مـا تملـك، وضحّـت بمالهـا وروحها فـي أشـدّ الظروف قسـوةً فـي شـعب أبـي طالب.

ثـم جـاءت فاطمـة الزهـراء(ع) لتُمثّل نموذجـاً متفرّداً فـي الفاعلية الحضاريـة للمـرأة المسـلمة. وقـد قُدّمـت قدوتـاً لجميـع النسـاء، لا لنسـاء عصرهـا وحسـب، بـل لـكلّ نسـاء العالـم علـى اختـلاف أعراقهـنّ ومعتقداتهـنّ. ولعـلّ مَـن لـم يتعـرّف بعـد علـى أبعـاد شـخصيّتها العظيمـة يجـد فـي مقولـة الاقتـداء بهـا شـعاراً مثاليـاً، لكـن مـا إن يطّلـع على جانبٍ مـن حقيقتها حتى يتيقّـن أنّ فاطمة الزهـراء(ع) قـدوة صالحـة لـكلّ نسـاء الدنيا عبـر الأزمنـة والأمكنة.

لقـد بُشّـر النبـي(ص) بولادتهـا في لحظة من أشـدّ لحظـات الضيق والضغـط السياسـي والاجتماعـي والاقتصـادي والنفسـي مـن قِبل المشـركين. وقد قدّمها الله تعالى للرسـول امتداداً لنسـله ورسـالته، وجعلهـا «الكوثـر» الموهـوب لـه. رافقـت أباهـا في مسـيرة الدعوة، وتحملـت مشـاقّ الهجـرة مـن مكة إلـى المدينـة ومخاطـر الطريق. وكانـت مُحدَّثـة ومنـزلاً للوحـي. وقـد قـال الإمـام الخمينـي(ره) فـي وصـف مقامهـا: «فاطمـة لـو كانـت رجـلاً لكانـت نبيّـاً». فاطمة الزهـراء(ع) لـم تكـن نبيّـة، ولكنّهـا صـارت محـور أسـرة النبـوّة، وأثمـرت هـذه الأسـرةَ إمامةً امتـدّت بالحضارة الإسـلامية ووسّـعت آفاقهـا. وهـذا مـا يجسّـده حديـث الكسـاء العظيم.

يُبـرز حديـث الكسـاء تـلازم عالمـي الملـك والملكـوت فـي حقيقة أهـل البيـت(ع)، ويظهـر فيـه الـدور المحـوري لفاطمـة(ع) تحديداً. فالدعـاء لأهـل الكسـاء وأشـيائهم فـي عالـم الملـك علـى لسـان النبـي(ص)، ومخاطبـة الله تعالـى للملائكـة بشـأن فضلهـم فـي عالـم الملكـوت، كلّ ذلـك يَـرِدُ عبـر فاطمـة(ع) لا عبر النبـي أو أمير المؤمنيـن أو الحسـنين. فهـي حلقـة الوصـل بيـن العالَميـن، وبهـا كُشـفت طبقـات الغيـب حتـى بلغـت قلبها الشـريف. ويكفـي دلالةً أنّ الله تعالـى عـرّف أهـل الكسـاء بواسـطة فاطمة(ع): «هُـم فاطمةُ وأبوهـا وبعلُهـا وبنوها». وكأنّ العالَم الملكوتـيّ أقرب إلى الزهراء(ع) حتـى إنّ التعريـف بسـائر المعصومين جاء من خلال نسـبهم إليها!

واليـوم تُجسّـد الثـورة الإسـلامية فـي إيـران واجهـة الحضـارة الإسـلامية، وتطـرح رؤيـة «النمـوذج الثالـث للمـرأة» انطلاقـاً مـن الشـخصية التامـة والصـورة الكاملـة للصدّيقـة الشـهيدة فاطمـة الزهـراء(ع). هـذا النمـوذج يتجـاوز ثنائيـة: (امرأة شـرقية منزوية / امـرأة غربيـة مُسـتَغلّة كجسـد)، ويقدّم تصـوراً متوازناً منسـجماً مع الفطـرة. فالمـرأة فـي هـذا النمـوذج تجمـع بيـن رسـالتها الأسـرية وحضورهـا المجتمعـي بوصفها فاعـلاً مؤثراً في تحقيـق الخير العام. وتتكيـف البُنـى الاجتماعيـة مع هذا الـدور بدلاً من أن تتحـوّل كثرة الأدوار إلـى معـوّق لجـودة حيـاة المـرأة.

وفـي عصـر الرقمنة، حيـث تُختزل المشـاركة الاجتماعيـة غالباً في العمـل الوظيفـي، يؤكّد النمـوذج الثالث أنّ الفاعليـة الحقيقية هي فـي التأثيـر الحضـاري لصالـح الإسـلام والأمّـة. وقـد صـاغ قائـد الثـورة الإسـلامية هـذا المفهـوم لأول مـرّة فـي خطابـه التاريخـي (٢٠١٣م) قائـلاً:

«أثبتت النساء المجاهدات في الثورة والدفاع المقدس أنّ هناك نموذجاً ثالثاً، لا شرقيّاً ولا غربيّاً. المرأة المسلمة الإيرانية فتحت تاريخاً جديداً أمام نساء العالم».

فهل يقتصر هذا النموذج على حدود إيران؟ قطعاً لا. فالإسلام ليس دين جغرافيا حتى تُحبس رؤيته للمرأة داخل حدود معيّنة. إنّ «النموذج» في الفكر يشبه «الخريطة»: ليست هي الواقع بكلّ تعقيده، لكنها تمنعنا من الضياع، وتكشف لنا إمكانات السَّير ومناطق الاكتشاف. ومن دون خريطةٍ تغدو معارفنا مجرّد ملاحظات متناثرة بلا رؤية جامعة.

لذلك فمفهوم «المرأة المسلمة في نموذجها الثالث» هو حصيلة تفاعل الهوية الإسلامية مع شروط الحداثة وفاعلية المرأة الذاتية. ونساء العالم الإسلامي اليوم لا يمكنهنّ فحسب، بل هنّ بالفعل في طور التحوّل إلى هذا النموذج، رغم صعوبة الطريق، بما يتطلّبه من إرادة فردية، وتساند اجتماعي، وإعادة فهمٍ دينيّ معمّق.

إنّ المرأة في النموذج الثالث ترسم خريطة حياة جديدة: تكون فيها مؤمنة راسخة، وفاعلة حضارياً، وابنةً حقيقية لعصرها؛ إنسانةً كاملة لا تنحصر في قوالب ضيّقة ولا تتيه في تكثّر بلا معنى. إنّ هذا النموذج شعاع من نور فاطمة الزهراء(ع): نور لا يقدّم تعالياً شعائرياً أجوف، بل يُؤسِّس لمعنى روحي عميق ينقل المرأة وأسرتها إلى مائدة الرزق الإلهي، ويُثمر حضوراً اجتماعياً مباركاً، تكمّل فيه الأسرةُ الدورَ المجتمعي للمرأة، ولا تُعارضه، بل تمنحه القوة والاستقامة والنموّ.

هوية المرأة بين تكريم القرآن وعنف النسوية المعاصرة

تدوين: الدكتورة مواهب صالح مهدي الخطيب
تدريسية في قسم الدراسات العليا-كلية العلوم الإسلامية – جامعة كربلاء

إنّ الحديث عن ضياع هوية المرأة وتشييئها في التيارات الداعية إلى المساواة المطلقة بين الجنسين ليس حديثًا عابرًا ولا جدلًا ثقافيًا مرحليًا، بل هو من أكبر الإشكاليات التي عصفت بالمرأة منذ بزوغ العصر الصناعي، يوم تحوّل الإنسان إلى مجرد ترس في آلةٍ رأسمالية لا تعرف حدودًا لأطماعها. فبعد أن كانت المرأة تنعم بالسكنى والسكينة، وتؤدي دورها العظيم في بناء الأسرة وتربية الأجيال، أصبح ينظر إليها بوصفها طاقة إنتاجية قابلة للاستغلال، ويدفع بها إلى ميادين العمل دفعًا تحت شعارات براقة ومغرية مثل التحرر والمساواة والاستقلال الاقتصادي. ولم يتوقف الأمر عند حدود الإسهام في بناء المجتمع، بل تحوّل إلى استدراج قسريّ لانتزاع المرأة من مجالها الطبيعي وإقحامها في أدوار لا تنسجم مع تكوينها، ليُسلب منها أغلى ما تحتاجه نفسياً وروحياً: أن تكون سكنًا، وأن تجد من يسكن إليها. وهكذا تكرست خديعة «المساواة الكاملة»، تلك التي تختبئ خلفها رغبة الأنظمة الاقتصادية في مضاعفة اليد العاملة، دون احترام للفوارق الفطرية بين الجنسين التي أودعها الله تعالى في خلقه: {فِطْرَتَ اللَّـهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ})

تحـاول التيارات النسـوية المعاصرة إنكار تلـك الحقيقة الفطرية عبر بنـاء أطروحـة «النـوع الاجتماعـي» التي تزعـم أن اختـلاف الطباع والميـول والأدوار هـو مجـرد بنـاء ثقافـي وتاريخـي فرضـه المجتمع عبـر العصـور، متجاهلـةً أن الهوية الأنثوية ليسـت مصطنعة بل ثابتة، وأن للمـرأة تكوينًا نفسـيًا وجسـديًا مغايـرًا للرجل. والقـرآن الكريم كان واضحًـا فـي تأكيـد هـذا التبايـن: {وَلَيْـسَ الذَّكَـرُ كَالْأُنثَـىٰ}(). وليـس فـي الآيـة أيـة دلالـة علـى التفضيـل أو الانتقـاص، بـل هي تأصيـل لاختـلاف الماهيـات وتنـوع الوظائـف والطاقـات()، فالله تعالـى وزّع الأدوار بحكمـة تجعـل من الاختلاف سـببًا فـي التكامل لا التضـاد، وفـي التعـاون لا التنافس العدائي الذي تطرحه النسـوية المعاصرة.

وقـد أثبت العلم الحديـث أن التركيب الكيميائي والهرموني لجسـد المـرأة يحـدد اسـتجابتها العاطفيـة وميلهـا الفطـري إلـى الرعايـة والوداعـة، وهـو مـا يقابـل فـي طبيعـة الرجـل نزوعـه إلـى الكـدح والمغامـرة وتحمّل المخاطـر والقيام بالأدوار الخارجية. إنّ التسـويق لخـلاف هـذه الحقيقـة البيولوجيـة لا يعـدّ تقدمًا للمرأة، بـل هو في عمقـه تعنيـفٌ خفـي لهـا وطمـسٌ لمعالـم أنوثتهـا وسـلبٌ لجوهـر هويتهـا التـي تشـكل الأمومـة محورها الأسـاس.

القـرآن الكريـم ـ بخـلاف النزعـات الفكريـة المتطرفـة ـ ينطلق من تكريـم المـرأة بوضعهـا في مكانٍ ينسـجم مـع فطرتها واسـتعدادها النفسـي والجسـدي. وقد جعـل حياتها حيـاة ملكية رفيعـة، فجعل الرجـل قائمًـا علـى خدمتهـا ورعايتها، لا من بـاب التسـلّط أو القهر، بـل مـن بـاب المسـؤولية التـي تقتضـي التكامـل. فهـو يصنـع في رحمهـا، وينمـو علـى صدرهـا، ويتعلّـم الإنسـانية مـن حنانهـا، ثـم يخـرج إلـى مواجهـة الحيـاة الخارجيـة واضعًـا نفسـه فـي مقـام الحمايـة والإنفـاق وليـس فـي مقـام التحكـم والحـدّ مـن قدراتها. وقـد عبّـر السـيد السـبزواري عـن ذلـك بقولـه إن الله تعالـى أودع فـي المـرأة مـن اللطف والرقة مـا يجعلها سـكنًا للـزوج، وأودع في الرجـل مـن الصلابـة مـا يجعله قوامًـا عليها، وبهـذا التمايز تسـتقيم الحيـاة ويسـتمر الوجود().

محـاولات جعل الرجل والمرأة نسـختين متماثلتين، وإلغاء الفوارق بينهمـا فـي الوظائـف والأدوار، تـؤدي فـي الحقيقـة إلـى هـدم أحد أعمـق نواميس الحيـاة. فالعالم يقـوم بالازدواج لا الأحاديـة: {وَمِنْ كُلِّ شَـيْءٍ خَلَقْنَـا زَوْجَيْـنِ}(٨). وبقـدر مـا يبـدو شـعار «المسـاواة المطلقـة» جميـلًا، فـإنّ تطبيقـه عمليًا يعنـي إلزام المـرأة بما ليس من مسـؤولياتها، وإجهادها نفسـياً وجسـدياً، وحرمـان المجتمع من دورها التربوي واسـتبداله بأدوار لا تضيف إلى إنسـانيتها شـيئًا بقدر مـا تجردها مـن خصوصيتها.

ولذلك فإنّ النسوية المعاصرة ـ في جوهرها ـ تعيد إنتاج شكل آخر من أشكال العنف ضد المرأة؛ فهي تدعوها لكي تكون «رجلًا» حتى تصبح قوية وفاعلة، وتعتبر الأنوثة ضعفًا يجب الهروب منه. وبهذا تتحول المرأة إلى كائن مشوّه الهوية، لا هي بقيت أنثى تتمتع بأنوثتها الطبيعية، ولا صارت رجلًا قادرًا على تحمّل أعبائه، فتعيش ازدواجية مرهِقة بين العمل المرهق خارج البيت والمسؤوليات الثقيلة داخله، بينما تخسر في الطريق أجمل ما فيها: رسالتها في الحضانة والتربية وصناعة الإنسان.

لقد كشفت التجربة الغربية المعاصرة ـ وهي الحاضنة الكبرى للنسوية ـ عن نتائج كارثية: نسب طلاق مرتفعة، عزوف عن الزواج والإنجاب، تفكك أسري، انتزاع دفء الأمومة من حياة المرأة، شيخوخة عاطفية مبكرة، وتحويل الجسد الأنثوي إلى سلعة في سوق الإعلان والجمال الاستهلاكي. حرية ظاهرها عذب، ولكن باطنها عبودية مُقنّعة للمصالح الاقتصادية والسياسية التي لا ترى في المرأة إلا مخلوقًا قابلًا للربح.

إن جوهر الأزمة اليوم يكمن في تمرد الخطاب النسوي على الفطرة وعلى قانون الاختلاف الخلّاق الذي وضعه الله لاستمرار الحياة. فمعركة المرأة الحقيقية ليست ضد الرجل، بل ضدّ كل ما يسلبها ذاتها ويجعلها تعيش خارج طبيعتها. إنّ التكريم الإلهي للمرأة يتمثل في أن تُمنح حقها الكامل في أداء وظيفتها الإنسانية الكبرى: أن تكون مصدر الحنان، ومربية للأجيال، وقلب الأسرة النابض بالسكينة. وفي الوقت ذاته يمكنها أن تنخرط في الشأن الاجتماعي والإبداعي بما يتناسب مع قدراتها واهتماماتها دون أن تدفع ثمنًا من أنوثتها وهويتها ورساليتها.

إنّ الإسلام لا يدعو إلى حبس المرأة ولا إلى تهميش قدراتها، بل يدعو إلى أن تكون إنسانًا في اكتمال إنسانيتها، امرأةً في أسمى معاني الأنوثة، لا صورةً باهتة عن الرجل. ومن هنا فإن الأصالة تكمن في التوازن بين التكامل والتمايز، وفي احترام الفطرة قبل رفع الشعارات. فحيثما غابت الفطرة، حضرت المعاناة، وحيثما غاب الدور التربوي للمرأة، غابت الأمة نفسها، لأن حضارة الإنسان تبدأ من حضن الأم.

ولذلك فإنّ إعادة الاعتبار لهوية المرأة القرآنية ليست عودة إلى الماضي، بل هي حماية للمستقبل. لأنّ كل مشروع حضاري يسقط إذا أهمل المرأة، وكل بناء اجتماعي ينهار إذا تم الاعتداء على موضعها الطبيعي ومكانتها الرفيعة. فالمرأة ليست ندًّا للرجل، بل هي شريكته في صناعة الحياة، وأنوثتها ليست نقصًا بل كمالًا، وخصوصيتها ليست عائقًا بل نعمة. وكما أنّ الليل لا يُمكن أن يصبح نهارًا، كذلك لا يمكن للرجل أن يصبح امرأة، ولا للمرأة أن تصبح رجلًا، فالاختلاف قدرٌ جميل ورحمة من الله.

الزَّهْراءُ (عَلَيْهَا السَّلام): الغِدَائِيَّةُ الأُولَى وَقَائِدَةُ النِّسَاءِ الرِّسَالِيَّاتِ

سُنْدُسُ الأَسْعَد – بَاحِثَةٌ إِسْلَامِيَّة – لبنان

إنّ الحديث عن السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) هو حديث عن الأصل الأول لجهاد المرأة الرسالية، وعن النبع الذي تفرّعت منه كلّ مقاومة صادقة في وجه الظلم والطغيان، فهي التي استشرفت مستقبل الأمة، وحفظت الرسالة وواجهت الانقلاب على الولاية، وربّت القادة الربانيين.

لم تكن امرأة في تاريخٍ عابر، وهي ابنة السيدة خديجة الكبرى التي بنا الله بها الإسلام، وأمّ السيدة زينب (عليها السلام) التي حفظت الإسلام من أضخم معركة تشويه إعلامي أموية.

وفي هذا الامتداد الرسالي نفسه، تمضي اليوم نساء المقاومة، يحمِلن منهاجها، ويتنفّسن يقينها، ويحوّلن البيوت إلى مدارس ثبات وإعداد وتبيين قرآني. بمطالبتها بحقّها بفدك، كشفت العلاقة الخطيرة بين الحق الشرعي والسلطة السياسية، إذ لم تكن القضية أرضًا، بل كانت معيارًا لشرعية الحكم. ولو أنّ السلطة يومها اعترفت بحقّ السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام)، لكانت قد اعترفت ضمناً ببطلان بعض المشاريع الباطلة.

ولذلك قالت في خطبتها الفدكية: «أَفَعَلَى مِثْلِي تَغْلِبُونَ؟»، وهي صرخةُ وعيٍ تكشف أن الصراع لم يكن على ملكٍ دنيوي، بل على مسار الأمة.

هذا النموذج التاريخي يلقي بظلاله على واقعنا السياسي اليوم، حيث تُستعاد الأساليب نفسها لمحاولة مصادرة الحق وتزييف الوعي.

وإذا كانت الزهراء (عليها السلام) قد وقفت وحدها ضد بعض المنظومات السياسية، فإن محور المقاومة اليوم — بوعي شعوبه وثبات نسائه — يدرك أنّ مواجهة الهيمنة السياسية للعدو لا ينفصل عن الدفاع عن الحق الشرعي في الأرض والكرامة والسيادة.

في خطبتها الشهيرة، قالت (عليها السلام): «وَمَا الَّذِي نَقَمُوا مِنْ أَبِي الْحَسَنِ؟ نَقَمُوا وَاللهِ مِنْهُ نَكِيرَ سَيْفِهِ...». هذا الوضوح في كشف الدوافع هو نفسه وعي المقاومة اليوم عندما تكشف أسباب استهدافها: ليس لأنها تحمل السلاح فقط، بل لأنها تحمل مشروعًا يُسقط مشاريع الاحتلال والوصاية والاستسلام.

ومثلما رفضت السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) المصالحة مع البعض لأنها كانت ترى في ذلك تثبيتًا للباطل، ترفض نساء المقاومة اليوم الانصياع للضغوط السياسية التي تسعى إلى نزع شرعية خيار المقاومة أو دفع المجتمع نحو التطبيع مع القاتل والجلّاد.

إنّ رفضها للمصالحة لم يكن تعنّتًا، بل كان حفاظًا على خط الإمامة كي لا يتكرّس الانقلاب حقيقةً. وهذا ما يتكرر اليوم حين تدرك نساء المقاومة أن أي تراجع أمام العدو أو التهاون في ثوابت المقاومة يعني تسليماً ضمنيًا بالمشروع المعادي.

ولم يكن بكاؤها مجرّد حزن، بل كان موقفًا سياسيًا. كانت تبكي لتقول إنّ الظلم ليس حدثًا عابرًا، بل جرحٌ في جسد الأمة ينبغي أن يُرى ويُسمع. وبكاؤها هو ذاته بكاء أمهات الشهداء اليوم حين يتحوّل دمعهنّ إلى إعلان موقف: رفض الخضوع، وتجديد عهد الدم، واستنهاض المجتمع كي لا يعتاد الظلم ولا يصمت عليه.

ولعلّ في قول الله تعالى: {وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ} إشارة واضحة إلى أن موقف المرأة جزء لا يتجزأ من معركة الأمة.

لقد كشفت السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) الدوافع الخفية عندما قالت: «زَعَمُوا أَلَّا حَقَّ لِي... أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ؟».

هذا الوعي هو نفسه الذي تمتلكه النساء المجاهدات اليوم، إذ يدرسن الدوافع الحقيقية للعدو: نهب ثروات المنطقة، تفكيك دولها، ضرب محور المقاومة. إنهنّ يدركن أنّ الحرب ليست صاروخًا يُطلق فقط، بل مشروعًا يُراد لمحو الإرادة، وتشويه الهوية الإيمانيّة.

كما أنها أسهمت في دعم الإمام علي (عليه السلام) جهاديًا وروحيًا، وكانت سنده الداخلي الذي لا يهتز، فكانت ترفع معنوياته.

ومن هذا النموذج تستلهم نساء المقاومة اليوم دورهنّ: تثبيت الأزواج المجاهدين، حماية الجبهة الداخلية، بثّ الطمأنينة، وتحويل البيت إلى ساحة رباط. إنّ صمود المجاهد على الجبهة هو امتداد لصمود زوجته في البيت.

أما في تربية الحسن والحسين وزينب (عليهم السلام)، فقد صنعت السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) قادةً سيغيّرون وجه التاريخ. ربّتهم على الجهاد قبل أن يبلغوا، وعلى الحق قبل أن ينطقوا، وعلى العزة قبل أن يحملوا السيوف.

إنها التربية الجهادية التي تحتاج إليها كل أم اليوم: أن تكون زهرائية القلب، زينبية الوعي، حسينية الموقف. وهذه هي التربية المطلوبة في مجتمع المقاومة الذي يُعد أبناءه للمواجهة الفكرية والإعلامية قبل العسكرية.

وقد وفّرت السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) إطارًا عقائديًا ونفسيًا لأهل بيتها يحفظ توازنهم في أشد الظروف.

إنّ منهج السيدة الزهراء (عليها السلام) هو المنهج نفسه الذي تتبعه نساء المقاومة في تثبيت مشروعها داخل المجتمع: الوعي، الصبر، البلاغ، قول الحقيقة ولو على حساب الذات، صناعة الجيل، وتحويل البيت إلى خندق.

ولعلّ أكثر ما يُلهم هو أسلوبها في تحريك النفوس واستنهاض الهمم حين قالت في خطبتها: «إِلَيْكُمْ عَنِّي!.. فَقَدْ نَبَذْتُكُمْ بِبَيْدَاءِ»، أي أنها لم تخشَ مواجهة مجتمعٍ تخاذل، بل حركته بقوة الحق.

لقد استخدمت السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) الاستدلال القرآني في دفاعها، فاستشهدت بقوله تعالى: {وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ} لتؤكد أن الأنبياء يورّثون. واستشهدت في فضائل علي (عليه السلام) بآيات الولاية والطهارة. هذا الاستدلال القرآني هو الدرس الأكبر لنساء المقاومة اليوم في مواجهة التضليل السياسي والإعلامي: لا يُواجه الاستكبار بالشعارات بل بالوعي والحجة واليقين القرآني الصرف.

ختامًا، إنّ ميلاد حضرة السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) ليست ذكرى تُستعاد، بل مدرسة تُبنى عليها الأجيال. وجهادها ليست تاريخًا يُقرأ، بل منهجًا يُطبّق.

المرأة الزهرائية التي يريدها الإسلام اليوم هي التي تحمل العلم والعفة والحياء والبلاغة، وتربط قلبها بالله، وتربّي أبناءها على الجهاد والمقاومة، وتدافع عن الحق في زمن الالتباس. هي التي تكون أيضًا كما كانت أمها خديجة الكبرى وابنتها زينب الكبرى: امرأة تبني الإسلام وتحفظه، وتكتب بدموعها ووعيها وتضحياتها الصفحة النقية من تاريخ الأمة.

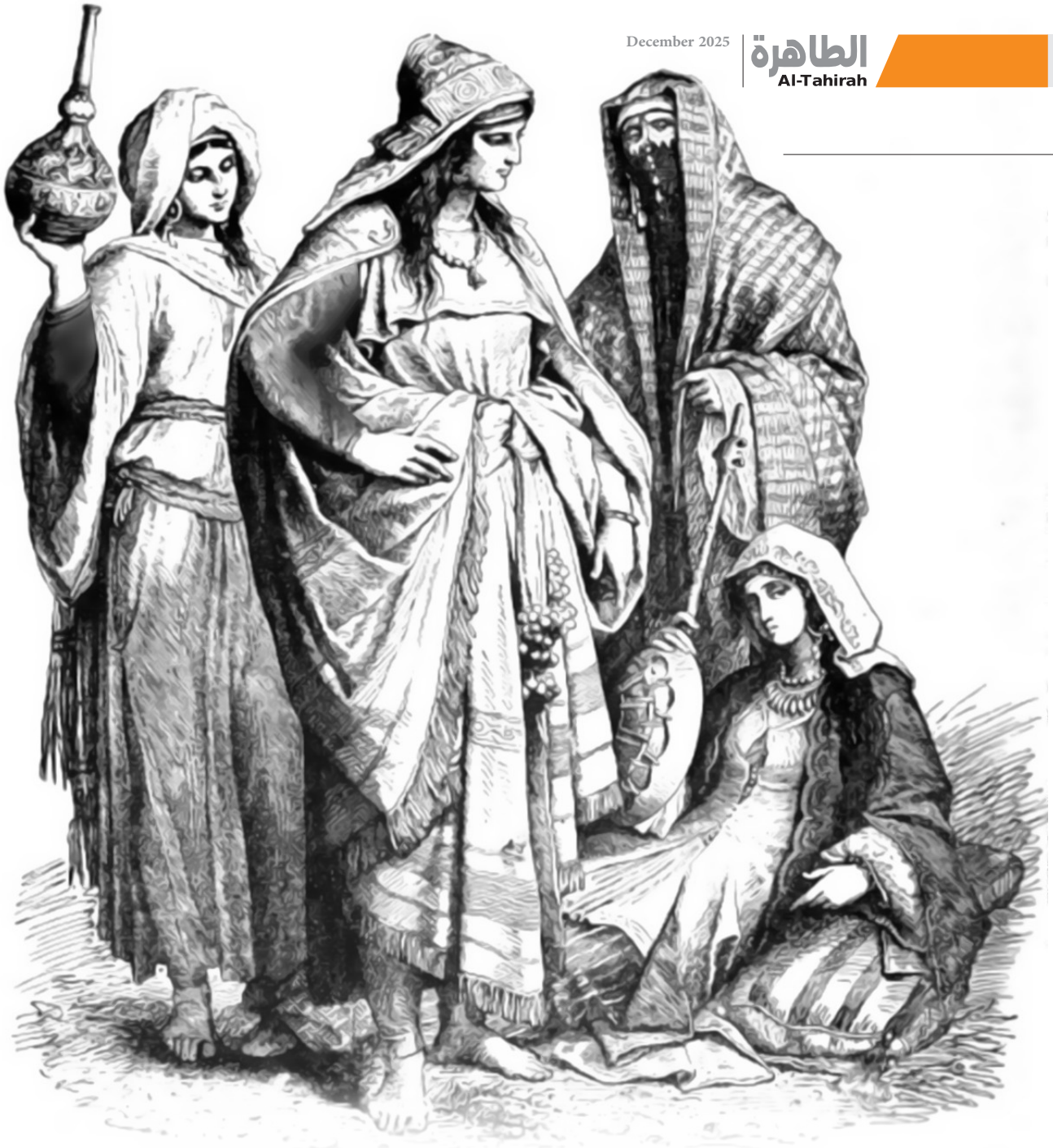

المرأة في الجاهلية الثانية

الدكتور حازم دوس العتابي
استشاري تنمية بشرية/ العراق

عانت المرأة في العصور الجاهلية التي سبقت الإسلام من الانتقاص والاحتقار والاستغلال والحرمان من الحقوق الطبيعية لها كإنسان..

فقد كانت المرأة في الجزيرة العربية تعامل معاملة المتاع والبهائم يتصرفون بها كيفما شاؤوا، ولم يكن لها حق الملكية أو الإرث ،فكانوا يقولون: لا يرثنا إلا من يحمل السيف ويحمي البيضة. ولا تتمتع بحقوق زوجية كما هي في الإسلام،فلا تقبض مهرها بل يقبضه وليها،وليس لها حقوق طلاق ولاحد لعدد

الزوجات،وإذا مات عنها زوجها كانت عدتها سنة كاملة ،لا تغتسل ولا تتطيب ،وتلبس رث الثياب ولاترى الناس او تختلط بهم. وكان الابن الأكبر ينقل زوجة أبيه إلى ممتلكاته بعد موت الأب،فإن شاء اطلق سراحها أو تملكها او حبسها حتى تفتدي نفسها ، او تركها إلى أن تموت.

أما البنت فقد كانت تمثل عبئا اجتماعيا واقتصاديا على أبيها،فتدفن حال ولادتها وهي حية في عادة جاهلية بشعة وهي ماعرف بوأد البنات.

ولم يقتصر امتهان المرأة على العرب بل كان الأمر في سائرالأمم الأخرى، فلقد اعتبر اليونانيون القدماء أن المرأة مجرد آلة يستخدمها الرجل ،كما ان بعض المفكرين كأرسطو لم يكونوا يعتقدون بقدرة النساء الفكرية على اتخاذ قرارتهن بأنفسهن،ولم تكن المرأة ترث او تستطيع امتلاك الأراضي والعقارات .

أما في الهند فكانوا يرون ان المرأة ماهي إلا جزء من الرجل ،ولاتستحق الحياة بعده،فتدفن معه وهي حية او تحرق معه،ولازالت هذه الطقوس تمارس إلى يومنا هذا.

ولأن التحريف قد أصاب الديانات السماوية التي سبقت الإسلام ،فلم يكن حال المرأة فيها بأفضل،إذ اعتبرت الديانة اليهودية المرأة مصدرا للإثم، وحملتها التوراة غواية آدم، وإخراجه من الجنة. وكذلك الأمر في المسيحية ،فقد ادخل بولس (وهو مؤسس الديانة المسيحية الحالية)التصورات اليهودية عن المرأة، إذ يعتبرها سبب الخطيئة الأولى وأنها أقل منزلة من الرجل ،ولا يحق لها التكلم في الكنائس والاجتماعات العامة،ولا يحق لها التعليم،ورغم أن الطلاق غير مسموح به في الديانة المسيحية إلا لأسباب استثنائية،فإنه لايسمح للمرأة المطلقة بالزواج وإذا تزوجت فإنها تعتبر زانية.

كل هذه التصورات بشأن المرأة لم تتغير إلا في عصر التنوير في القرن الثامن عشر،إذ بدأت تدريجيا محاولات منح المرأة بعض الحقوق.

ولكن بعد مجيء الإسلام حدثت نقلة نوعية في واقع المرأة من الامتهان والاستغلال والاحتقار والحرمان من الحقوق إلى التكريم والتشريف وصون الحقوق.

ومن واقع تعد فيه المرأة عارا ونجاسة وبهيمة لاتُحترم إرادتها وحقوقها إلى إنسان محترم الكينونة والإرادة والشخصية .

واقع نالت به حقوقا لم تحصل عليه المرأة الغربية حتى يومنا هذا، إذ أصبح لها من الحقوق وعليها من الواجبات كما للرجل بما يتناسب مع طبيعتها ويحفظ كرامتها وقدرها،لا كما تطالب به الحركات النسوية من مساواة مع الرجل والتي هي مطالب مجحفة بحق المرأة وظالمة لها.

ومنذ بدء الوحي نزلت الآيات القرآنية تخاطب المرأة كما تخاطب الرجل على حد سواء ،وتضرب المثل بنساء مؤمنات وتجعلهم قدوة للمؤمنين نساءً ورجالا ،وتضرب المثل بنساء خانتا الله ورسوله وتحذر من الاقتداء بهن،إذ قال تعالى في سورة التحريم:(ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ (١٠) وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (١١) وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ (١٢)).

كما أن سورا كثيرة تناولت في العديد من آياتها التشريعات المتعلقة بالأمور الخاصة بالنساء منها: سورة البقرة ، سورة النساء، سورة النور، سورة الأحزاب، سورة المجادلة، سورة الممتحنة، سورة الطلاق، سورة التحريم.

و تتالت الأحاديث النبوية التي تحث على إكرام المرأة وتوصي بها،إذ قال رسول الله ص: "خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي" .

وفي حجة الوداع قال ص: (استوصُوا بالنِّساءِ خيرًا).

ومنح الإسلام الحقوق الكاملة للمرأة ،في التملك والإرث والزواج والتعليم وغيرها،وإذا كانت المرأة الغربية لم تحصل على الحق بالتصويت إلا نهاية القرن التاسع عشر ،فإن المرأة المسلمة حصلت على هذا الحق مع مجيء الإسلام، ويذكر التاريخ أن نساء الأنصار بايعن رسول الله ص قبل الهجرة،وكذلك في بيعة غدير خم بايعت النساء امير المؤمنين علي ع كما بايعه الرجال.

وهكذا أنصف الإسلام المرأة وبيّن أن لها دورا هاما في بناء المجتمع وتشارك الرجل بهذه المسؤولية،وغاية التكريم لها حين اعتبرها مكلفة ولها كامل الأهلية والمسؤولية الموجبة للثواب والعقاب، إذ قال الله تعالى:(وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ) [البقرة :٢٢٨].

وقال رسول الله ص:إنما النساء شقائق الرجال.

أما في عصرنا الحاضر وللاسف يتم خداع المرأة المسلمة بشعارات مزيفة وتضليل إعلامي من قبل حراكات نسوية تحت

مظلة الحرية والحقوق في محاولة لسلب المرأة المكانة و الامتيازات التي منحها إياها الإسلام وجعلها تنجرف لتقلد المرأة الغربية بسفورها وابتذالها واستعراض مفاتنها على حساب عفتها وكرامتها ،وان تقف مقام الند والمساواة للرجل لا المشاركة والتكميل، وبذا تفقد دورها الإنساني الذي خلقها الله له.

المرأة تحت وطأة الجاهلية الثانية:

في عصرنا الحاضر يتم استغلال المرأة في جاهلية ثانية وجعلها سلعة يُتَحكم بها كما في الجاهلية الأولى ولكن بصورة أخرى وعبر مسخ شخصيتها وإطفاء انوثتها وتحميلها مالا تطيق،و إنما يأتي هذا نتيجة الاستسلام للاصوات النشاز التي تنعق باسم حرية وحقوق المرأة،وهي شعارات تبدو جذابة تنقاد لها النساء الغافلات اللواتي لايدركن قيمتهن الحقيقية وعظيم ماشرعه الإسلام لهن،ولن يدركن ذلك إلا بعد أن تنغمس في تعاسة النموذج الغربي فتتكشف لها مساوئه وسلبياته.وإن لم تمتلك المرأة المسلمة وعيا دينيا كافيا فإنها بالطبع ستنزلق في هذا المنزلق الخطير.

يقول البروفيسور جيمس تولي في كتابه سوء تعليم المرأة في الغرب:(بأنه عندما تشن النساء حرباً على النمطية الجنسية فيما يتعلق بالبيت الأسرة فإن هذا لا يزيدهن سعادة ، وبأن الخروج عن هذه النمطية لا يزيدهن إلا شقاوة على شقاوة).

ويقول د. هنري ماكوو، وهو أستاذ جامعي ومؤلف وباحث أميركي متخصص في الشؤون النسائية والحركات التحررية: تحرير المرأة خدعة من خدع النظام العالمي الجديد، خدعة قاسية أغوت النساء الأمريكيات وخربت الحضارة الغربية.

وكشفت إحصائية أميركية أن ٨٠ في المائة من الأمريكيات يعتقدن أن من أبرز النتائج التي نتجت عن التغير الذي حدث في دورهن في المجتمع وحصولهن على الحرية، انحدار القيم الأخلاقية لدى الشباب هذه الأيام.

فهل هناك دليل أقوى على انحدار الحضارة الغربية من هذه الادلة التي يشهد بها أهلها!.

وإذا كان هذا حال الدول الغربية ،فكيف يكون حال المجتمع الإسلامي لو انجرفت المرأة وراء النموذج الغربي،إذ يمثل الإسلام عدوا حضاريا للغرب وتهديدا له،وقيام الإسلام وانتشاره يعني نهاية الحضارة الغربية،فكان لابد للغرب من العمل وبقوة لتصديع بناء المجتمع الإسلامي ومهاجمة مركز قوته وهي الأسرة المسلمة ونواتها وهي المرأة.

فنجد ان هناك حربا إعلامية مستعرة ضد الإسلام ساهمت في تشويهه وإضعاف عقيدة المسلمين بشريعته واحكامه، ولايقتصر الأمر على الدول الإسلامية،بل حتى النساء في الدول الغربية واللواتي من المفترض انهن يعشن الديمقراطية والحرية ،إلا انهن يتم تصويرهن على أنهن ضحايا عنف أسري وتسلط ذكوري من الأب أو الزوج،كل ذلك لأجل ضرب الإسلام وتشويه صورته،حتى تسللت هذه الصورة الى أذهان الشباب المسلم الذي ولد وعاش هناك.

لكـن الحقيقـة فيما يخص واقـع المرأة في الإسـلام أنه يتسـم بحالـة تـوازن صحية،فلا يعـزل المـرأة ويغلـق عليهـا خلـف قضبـان التشـدد والدونيـة كما ترى الديانـة اليهودية والمسـيحية ،ولا يدعهـا فـي حالـة انفـلات خلـف الشـهوات والرغبـات ودون مراعـاة للحـدود مـع الرجـل كمـا فـي الحضـارة الغربيـة اليـوم.

فالمـرأة الغربيـة تعيـش واقعـا مريـرا حرمهـا مـن التمتـع بحقهـا بـأن تعيش في كفالـة رجـل ينفق عليها،وتحت اسـم الحرية والمسـاواة أجبـرت علـى الخـروج للعمـل لتؤمـن عيشـها،مع ان هـذه الـدول التـي تنـادي بالمسـاواة تمنـح المـرأة أجـرا أقـل مـن أجـر لرجـل لقـاء نفـس العمـل .

وأصبح اسـتغلال أجسـاد النسـاء في شـتى انـواع الإباحيـة صناعـة عظيمـة فـي الغـرب فهـي تجلب ١٢ مليار دولار سـنويًّا في أمريكا وحدها،فهـل هـذا هـو ماتطمح لـه المرأة!.

إن المـرأة التي تدرك مصلحتهـا تنظر بعين الحـذر إلـى الفخـاخ التـي تنصـب لها،وتقرأ التاريـخ قـراءة واعيـة لتـدر ك أن صـون المـرأة وحفـظ حقوقهـا كان دائمـا وأبدا مع الشـريعة الإلهيـة الحقة بدءا مـن أمنا حواء ومرورا بالسـيدة سـارة وهاجر ومريم وآسـيا امـرأة فرعـون التـي تركـت كل الثـراء وعـز السـلطان الـذي تلهـث وراءه بعـض النسـاء المخدوعـات اليـوم ،وآثـرت عبـادة الله لأنها تـدرك أن العـز مـع الله وليـس سـواه.

امـا نسـاء بيـت الرسـالة آمنـة وخديجـة وفاطمـة وزينـب عليهن السـلام،فمن منهن لـم تحصل علـى حقوقها وهن كُـنَّ في كنف منبع الرسـالة والتزَمْـن باحكامها،ومن منهن لـم تكـن لهـا شـخصية قويـة او لـم تحمـل مـن العلـم والوعـي مايفتقـده الرجال.

هـؤلاء هـن القـدوة وهـن المثـل الاعلى،فالسـيدة الزهراء عليها السـلام عندما قـال لهـا النبـي ص:أي شـيء خيـر للمـرأة

قالـت :(أن لا تـرى رجـلاً ولا يراهـا رجـل). لأن صيانـة المـرأة لكرامتهـا وعزتهـا بالسـتر والعفـاف لا يمنعها من اداء ادوارها، والزهراء عليهـا السـلام لـم يمنعهـا حجابهـا والتزامها بحـدود الشـريعة الإسـلامية مـن ان تدخـل السـاحة السياسـية وتدافـع عن إمـام زمانها وتلقـي الحجـج البالغة والادلـة الدامغة على البعـض فـلا يسـتطيعون ردها .

والسـيدة زينـب عليهـا السـلام التـي لـم يكـن يرى ظلها ،وعندمـا تخرج لزيـارة قبر جدهـا رسـول الله يقـوم أميـر المؤمنيـن ع بإطفـاء السـراج كـي لايُـرى ظلها ،وعاشـت فـي الكوفـة مايقـارب الخمـس سـنوات ولـم يسـمع لهـا صـوت مـن أقـرب جيرانها ،لكـن زينـب هـذه تحملـت فـي واقعـة كربـلاء مالاتطيـق حملـه الجبال،وصبـرت واحتسـبت مايتضـاءل عنـده صبـر ايـوب، وقلبـت الطاولـة علـى يزيـد فـي مجلسـه بكلامهـا ومنطقها وأحالـت نصـره المزعـوم إلـى هزيمـة وفضيحـة.

فهـل بيـن مـن يدعيـن التحضـر والتحـرر مـن حققت من النجـاح والإنجاز مـا حققته السـيدة الزهـراء والسـيدة زينـب حتـى يكونـون مثـلا يحتـذى!.

بلاشـك أنهـن سـلام الله عليهـن هـن التجسـيد الواقعـي للإسـلام ،وهـن القـدوة الأحـق بالاقتـداء والاتِباع لـكل ذات عقل ،لا النمـاذج الممسـوخة المبتذلـة التـي فقدت كرامتهـا حيـن أراقـت عفتهـا علـى مذبـح التحضـر والاسـتغراب.

السيدة الزهراء بوصفها زوجة

قراءة تحليلية

سيدة معصومة طباطبائي
دكتوراه في الفلسفة وباحثة في الشأن التربوي / إيران

إنّ الحديث عن دور السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام في بناء مؤسسة الزواج في الإسلام، ليس مجرد وقوف عند سيرة شخصية مقدّسة حازت من الخصائص ما لم يحزه غيرها فحسب، بل هو بحث في جوهر البناء الاجتماعي والروحي للأمة الإسلامية، لأن الزواج ليس علاقة فردية بين رجل وامرأة وحسب، بل هو نواة الحضارة الإنسانية، وفضاء تتشكل فيه الهوية والقيم والإنسان ذاته. والزهراء عليها السلام هي النموذج الأكمل للزوجة في الإسلام، إذ جسدت المعنى الأسمى للمودة والرحمة كما أراد الله تعالى لهذا الرباط أن يكون: سكنًا، واستقرارًا، ونموًا، وعطاءً متبادلًا بين شريكين خلقهما الله لحمل رسالة الخلافة في الأرض. وإذا كان الإسلام قد قدّم رؤية كونية للمرأة بوصفها إنسانًا كامل الإنسانية، له حقوقه وقدراته ودوره الحضاري، فإن فاطمة الزهراء عليها السلام قد جسّدت هذه الرؤية تجسيدًا عمليًا حيًا، فكانت المثال الذي يستند إليه العلماء والمفكرون في فهم تكامل الزوجية وأثرها في صناعة الرسالة وقيادة المجتمع.

وليس سرًا أنّ الزواج الفاطمي العلوي كان قرارًا سماويًا، فقد جمع الله فيه بين شخصيتين هما في القمة من حيث الطهارة والعلم والروحانية. إنها شراكة بين نفسين كاملتين تتوزعان أدوار الحياة، لا بمنطق السيطرة ولا الصراع، بل بمنطق التكامل الذي أراده الله، فالرجل قائد في ميدان الجهاد الخارجي والتحمل والمسؤولية، والمرأة قائدة في ميدان بناء الإنسان وصناعة المجتمع من الداخل. لقد أراد الله أن تكون فاطمة النموذج الأول للزوجة المسلمة التي تجعل من البيت مركز إشعاع للهدى، ومحرابًا للقيم، وفضاءً يُربّى فيه الرجال العظام الذين تحدث عنهم التاريخ بإجلال. ولم يكن هذا الزواج حدثًا عابرًا، بل كان تأسيسًا لمدرسة زوجية تنطلق من الإيمان والمعرفة، وترتكز على الرحمة المتبادلة، وتتحرك في الحياة كجناحين لطائر واحد لا يمكنه التحليق إذا كُسِر أحدهما.

لقد أدركت الزهراء عليها السلام أنّ الزوجية في الإسلام تقوم على أعمدة ثلاثة: السكن، والمودة، والرحمة. ولم تكن هذه المفاهيم بالنسبة إليها مجرد شعارات أو آيات تُتلى دون أثر، بل جعلتها واقعًا ملموسًا. فكانت في بيتها زوجة مطيعة، عطوفة، مشاركة في آلام علي عليه السلام وطموحاته. كانت تفهم عظم مسؤولياته في الدفاع عن الدولة الإسلامية الناشئة، فوفرت له كل ما يحتاجه من دعم نفسي وروحي يجعله راسخًا في جهاده. لقد كانت تقف خلفه في أصعب أيامه، يوم تخاذل الكثيرون عن نصرة الحق، ويوم تكالبت قوى الجاهلية على الرسالة. وكانت تقف بجانبه لا باعتباره زوجها فحسب، بل باعتباره وصي رسول الله صلى الله عليه وآله، والقائد الحقيقي للأمة، ورمز الولاية التي أرادها الله سبحانه وتعالى أن تكون أساسًا لاستمرار الهداية.

إن مفهوم الطاعة الزوجية في الإسلام، الذي تم تشويهه من قبل بعض القراءات الغربية، يتجسد عند فاطمة ليس بوصفه خضوعًا للسلطة، بل احترامًا لدور الرجل في مسؤولية القيادة والحماية. فكانت مع علي عليه السلام شريكة واعية، تبدي الرأي، وتشير بالمشورة، وتُسهم في صناعة القرار، وتتحمل تبعاته. وهي في كل ذلك لم تتخلّ عن أنوثتها ولا عطائها الأسري، بل جعلت من هذا البيت عالمًا من النقاء والصفاء والدفء، وكانت تملك القوة النفسية والإيمان العميق الذي يجعل من أي صعوبة طريقًا إلى نضج أعلى.

وقد روي أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال في وصفها لعلي عليه السلام: «يا علي، أما ترضى أن تكون زوجتك سيدة نساء العالمين؟». لم تكن هذه السيادة تكريمًا شكليًا، بل كانت شهادة على قدرة الزهراء على بناء بيت مثالي يمثّل الأساس الأخلاقي للأمة. فزوجها علي هو باب مدينة العلم، وهي روح المدينة ومصدر نورها، أبناءها هم الامتداد الطبيعي لخط الهداية، حياتها الزوجية هي الدليل العملي على أن الأسرة يمكن أن تكون مشروعًا رساليًا عظيمًا له قدرة على تغيير التاريخ. فهي في علاقتها الزوجية لم تغفل لحظة واحدة عن أن الهدف الأكبر هو نصرة الحق وإقامة العدل واستمرار الرسالة، لم تكن ترفًا عاطفيًا، بل كانت ركيزة عقائدية وروحية وجهادية.

ومن مظاهر دورها الزوجي العظيم أنّها جعلت من خدمة الزوج عبادة. كانت تعجن وتخبز وتطحن وتكنس وتحمل الماء، مع أنّها سيدة نساء العالمين. لم يكن ذلك لأن الإسلام يريد للمرأة أن تكون خادمة، بل لأنها أرادت أن تعطي صورة واضحة عن أنّ الشرف لا يقاس بالمظاهر بل بالنية والعمل. وقد جبر الله تعبها، فكان لها ما ليس لغيرها: لقد أعطاها الله رزقًا سماويًا، وطعامًا من الجنة، وروحًا من عبق النور. وقد رأى علي عليه السلام بيده كيف أنّ العمل المنزلي كان طريقها الأقرب للتقوى والرضوان، فشهد بحقها قائلاً: «والله ما أغضبتني يومًا ولا خالفت لي أمرًا». هذه الشهادة ليست شهادة زوج بزوجته، بل شهادة إمام بمعصومة، شهادة قائدٍ بروح قائدة، شهادة رجل بأعظم امرأة عرفها التاريخ بعد أمها خديجة وسيدات الأنبياء.

وهنا تتجلى عظمة الزهراء عليها السلام: لقد أثبتت أنّ خدمة

الـزوج ليسـت انتقاصًـا مـن الكرامـة، بـل هـي تكريم للإنسـان لأنه يفعـل ذلـك حبًـا، ولأنـه يعلـم أن هـذه الخدمـة تُسـهم فـي بنـاء الأسـاس الـذي يقـوم عليـه المجتمـع. إن النظريـات النسـوية المعاصـرة التـي تسـتهزئ بـالأدوار الأسـرية للمـرأة وتعتبرها شـكلًا مـن أشـكال العبودية، تغفل عن جوهر السـعادة الإنسـانية. فالمرأة لا تجـد كمالهـا فـي تقليد الرجـل، ولا في الصراع معـه، ولا في إلغاء دورهـا في التربيـة والرعاية. إن سـعادة المـرأة الحقيقية تكمن في أن تـؤدي رسـالتها التـي خلقـت لها: أن تبنـي الإنسـان، وأن تحمي الحـب، وأن تصنـع الحضـارة مـن الداخـل. والزهـراء عليها السـلام هـي الدليـل الأكبـر علـى أنّ الأمومـة والزوجيـة ليسـتا عائقًـا أمـام التكامـل الإنسـاني، بـل همـا طريـق التكامل الأسـمى.

وقـد كانـت علاقتهـا بأميـر المؤمنيـن عليـه السـلام نموذجًـا فـي التـوازن بيـن العاطفـة والتكليـف. كانـت تحترمـه زوجًـا، وتطيعـه إمامًـا، وتسـانده مجاهـدًا، وتؤنسـه إنسـانًا، وتربـي أبناءه رسـاليين. كان حبهمـا حبًـا ربانيًـا، لا يكتفـي بالوجـدان بـل يتحـول إلى حركة فـي الواقـع. ومـن أروع ما قيـل في حب علـي وفاطمة مـا روي أنّ رسـول الله صلـى الله عليـه وآلـه قـال: «لـولا علـيّ لمـا كان لفاطمـة كفـو، ولـولا فاطمـة لمـا كان لعلـيّ كفـو». هـذه المسـاواة الروحيـة هـي مـا يجـب أن تتعلمـه كل امـرأة وكل رجـل: التكامـل فـي المقامـات والأدوار، لا التنافـس والصـراع كمـا تـروج لـه الثقافـة الماديـة المعاصـرة.

وقـد تعاملـت الزهـراء مـع علي كقائـد للأمـة، فكانت تفهـم أنّ بيتها هـو آخـر قلعة تحمي الرسـالة بعـد أن تخـاذل الكثيـرون عن نصرة الحـق. لقـد جعلـت مـن حياتهـا الزوجيـة سـاحة جهـاد صامـت، قاومـت بهـا الانحراف السياسـي الـذي بدأ بعد رحيـل النبي. فكانت فـي كل لحظـة تذكّـر عليًـا بمسـؤوليته، وتقـوّي عزيمتـه، وتشـجّعه علـى الصبـر رغـم مـا لاقاه مـن ظلـم. كانت تـرى أنها ليسـت زوجة لرجـل عادي، بل لشـخص اختـاره الله لقيادة الأمة، وأن مسـؤوليتها فـي مواجهـات مـا بعـد السـقيفة لا تقل عن مسـؤولية علـي. لذلك خرجـت للدفـاع عن الولايـة والخلافة الشـرعية، وواجهـت المجتمع حيـن صمـت عـن الحـق، لتثبـت أن الزوجيـة في الإسـلام ليسـت حبسًـا للمـرأة خلـف الجـدران، بل هي تكليـفٌ بالحفـاظ على الحق وقيم الرسـالة.

وفـي المقابـل، كان علـي عليـه السـلام يقدّر هـذا الموقـف العظيم، وكان يعـرف قدرهـا معرفـة تامـة. لـم يكـن يتعامـل معهـا باعتبارها زوجـة وحسـب، بـل باعتبارهـا حجـة علـى العالميـن، حافظـة سـر النبـوة، وبابًـا مـن أبـواب الرحمـة الإلهيـة. لذلـك كان يخدمهـا بيده إذا احتـاج الأمـر، ويحمـل عنهـا المشـقة، وكان يقسـم معهـا العمل المنزلـي ليخفـف عنهـا، ويعلـم أنـه يخـدم بذلـك الرسـالة التـي يحملانهـا معًـا. وعندمـا كان يعـود مـن سـاحات الجهـاد إلـى بيتها، كان يشـعر أنّـه عـاد إلـى الجنة، إلـى السـكينة التي لا يشـعر بها إلا برؤيـة فاطمـة وأبنائهـا. لقـد كانت العلاقـة بينهمـا لقاء بيـن نورَين، وامتـزاج روحَيـن، وتكامـل مقامَيـن؛ فـلا هـي مـن دونه كاملـة، ولا هـو بدونهـا يتجلـى بكمالـه الإنسـاني والإلهي.

وهـذه العلاقـة الزوجيـة المثالية أثمـرت الثمار الأعظم فـي التاريخ: الحسـن والحسـين وزينـب وأم كلثـوم. إنهـا ليسـت مجـرد ذريـة طيبـة، بـل هـم امتـداد الرسـالة وحمـاة الديـن، وصنّـاع النهضـات الكبـرى فـي التاريـخ الإسـلامي. فلـو لـم تكـن الزهـراء زوجـة كما ينبغـي أن تكـون، ولـو لـم يكـن علـي زوجًـا كمـا ينبغـي، لمـا كان لهـذا البيـت أن يخرج لنا قادة عاشـوراء، ولا أن يسـتمر نسـل النبي إلـى يـوم القيامـة عبـر خـط الإمامة. وهـذا هو السـر الـذي يوضحه القـرآن الكريـم فـي سـورة الكوثـر: «إنـا أعطينـاك الكوثـر»، أعطاه الله فاطمـة لتكـون منبـع الإمامة والولايـة، ومـن دون دورها الزوجي العظيـم لمـا تحقـق هـذا العطاء.

لقـد اجتمـع فـي الزهـراء عليها السـلام حبها لعلـي كـزوج، وإيمانها بـه كإمـام، وتفانيهـا معـه كمجاهـدٍ في سـبيل الله. فكانت زوجيـة لا تعـرف الروتيـن، ولا تعـرف الأنانيـة، بـل تعـرف فقـط كيـف تُنتـج العظمـاء وتبنـي الأمـم. وكانـت بذلـك تكشـف أنّ الأنوثـة الحقيقية ليسـت ضعفًـا، بـل هـي قـوة روحيـة تتجلـى فـي العطاء والاحتـواء والتضحيـة. وهـو مـا يغيـب اليوم عن أذهـان كثيريـن وقعـوا ضحيـة خطابـات ماديـة جـردت العلاقـة الزوجيـة من بعدهـا الروحي والمصيـري.

وإذا أردنـا اليوم أن نعيـد الاعتبار لمفهوم الـزواج الإسـلامي، وأن نعيـد للأسـرة دورهـا فـي البنـاء الحضـاري، فـلا بـد أن نعيـد قـراءة السـيرة الفاطميـة بوعـي عميـق. فالحيـاة الزوجية ليسـت صراعًا بيـن الحقوق والواجبـات، ولا هـي حسـابات ماديـة بـاردة، بـل هـي رحلـة مشـتركة نحـو الله، فيهـا السـكن والمـودة والرحمـة، وفيهـا التكامـل

بيـن العقـل والقلـب، بيـن القـوة والحنـان، بيـن الـدور الخارجـي والـدور الداخلـي. ومـن يفقـد هـذا التـوازن يفقد سـر السـعادة. إن الغـرب اليـوم يعانـي مـن التفـكك الأسـري، ومـن ضيـاع مفهـوم البيـت، ومـن تحـوّل المـرأة إلـى كائن مرهـق يعيش ضـد طبيعته. وقـد آن الأوان لكـي نقـدم لهم النمـوذج الآخـر: زواج فاطمة وعلي، الـذي عـاش الفقـر المـادي، ولكنـه كان فـي قمـة الثـراء الروحي.

وفـي النهايـة، فـإن دور الزهـراء عليهـا السـلام كزوجة لم يكـن دورًا تقليديًـا، بـل كان عمـلًا رسـاليًا هائـلًا فيـه دفاع عـن الإمامة، وتأسـيس لعائلة هـي ركيـزة استمـرار الهدايـة، وتقديـم نمـوذج للمـرأة المثاليـة التـي تحفـظ زوجهـا ومعهـا تحفـظ الرسـالة. لقـد أعـادت تعريـف مفهـوم الزوجيـة،

فجعلتـه رسـالة تُعـاش، وجهـادًا صامتًـا لا يقـل أثرًا عـن الجهاد في سـاحات القتـال. ومـن هنا فـإن كل امـرأة تريد أن تعيش الإسـلام فـي جوهـره، عليهـا أن تتعلـم مـن فاطمة كيـف تكون زوجـة تحمل هـمّ الرسـالة، وكيـف يمكـن للبيـت أن يكـون أقـوى قـلاع الدفـاع عـن الحق.

وكمـا قـال الإمـام علي عليه السـلام عندما استشـهدت فاطمة عليها السـلام: «يـا رسـول الله، أمـا حزني فسـرمد، وأمـا ليلي فمسـهد». هـذه الكلمـات تختصـر عظمـة الزوجيـة الفاطميـة: لقـد كانـت لـه الـروح التـي لا يعـوّض غيابهـا شـيء مهمـا بلـغ. فكيـف لا يكـون الحـزن سـرمديًا؟ وكيـف ينـام القلـب بعـد أن يفقـد سـكينته؟ لقد رحلـت الزهـراء جسـدًا، ولكنهـا بقيـت فـي بيـت علـي روحًـا، وبقي دورهـا الزوجـي مدرسـة تتعلـم منهـا الأجيـال كيـف يبنـى البيـت المسـلم القـادر علـى تغييـر التاريخ.

إننـا إذ نكتـب اليـوم عن دورهـا الزوجـي، فإنما نعيد قـراءة معنـى الـزواج الإلهـي الـذي يجمـع بيـن الحب والرسـالة، بين السـعادة والـدور الحضاري، بيـن الإنسـان وربـه. فالزهـراء عليهـا السـلام هـي النمـوذج الأول والأعلـى للزوجـة التـي أحبّـت بإيمـان، وجاهـدت بحنـان، وربّـت بعقـل وقلـب، وأثبتـت للعالـم أن المـرأة ليسـت ظـلًا للرجـل، ولا تابعًـا لـه، بـل هي شـريكته فـي بناء الحـق، وصانعة الإنسـان القادر على حمـل رايتـه. وإذا بقـي العالـم كلـه فـي اختبـار فهـم دور المـرأة، فـإن الإسـلام قـد حسـم الإجابـة منـذ قـرون: المـرأة نـور الرسـالة وروح الولايـة، والبيـت الذي تُديـره امرأة مثـل فاطمـة لا يمكـن إلا أن ينتج قـادة يغيـرون مجرى التاريـخ

أوجه الشبه بين مريم العذراء وفاطمة الزهراء (ع)

في التقاطعات الروحية والإنسانية بين امرأتين شكّلَتا وجدانَ الإنسانية

هيلانة عطاالله- شاعرة وكاتبة من سوريا

تلتقي مريم العذراء وفاطمة الزهراء (ع) في مساحة نادرة يصعب أن يجتمع فيها اثنان من البشر، مساحة النقاء الذي يتحوّل إلى رسالة، والأنوثة التي تنقلب رمزًا يتجاوز حدود الزمان والمكان، لم يكن الشبه بينهما مجرد مصادفة في السيرة ذاتية، بل هو امتدادٌ لطبيعة الدور الذي حملتاه، امرأتان خرجتا من قلب التاريخ لتصبحا زمنًا روحيًا قائمًا بذاته.

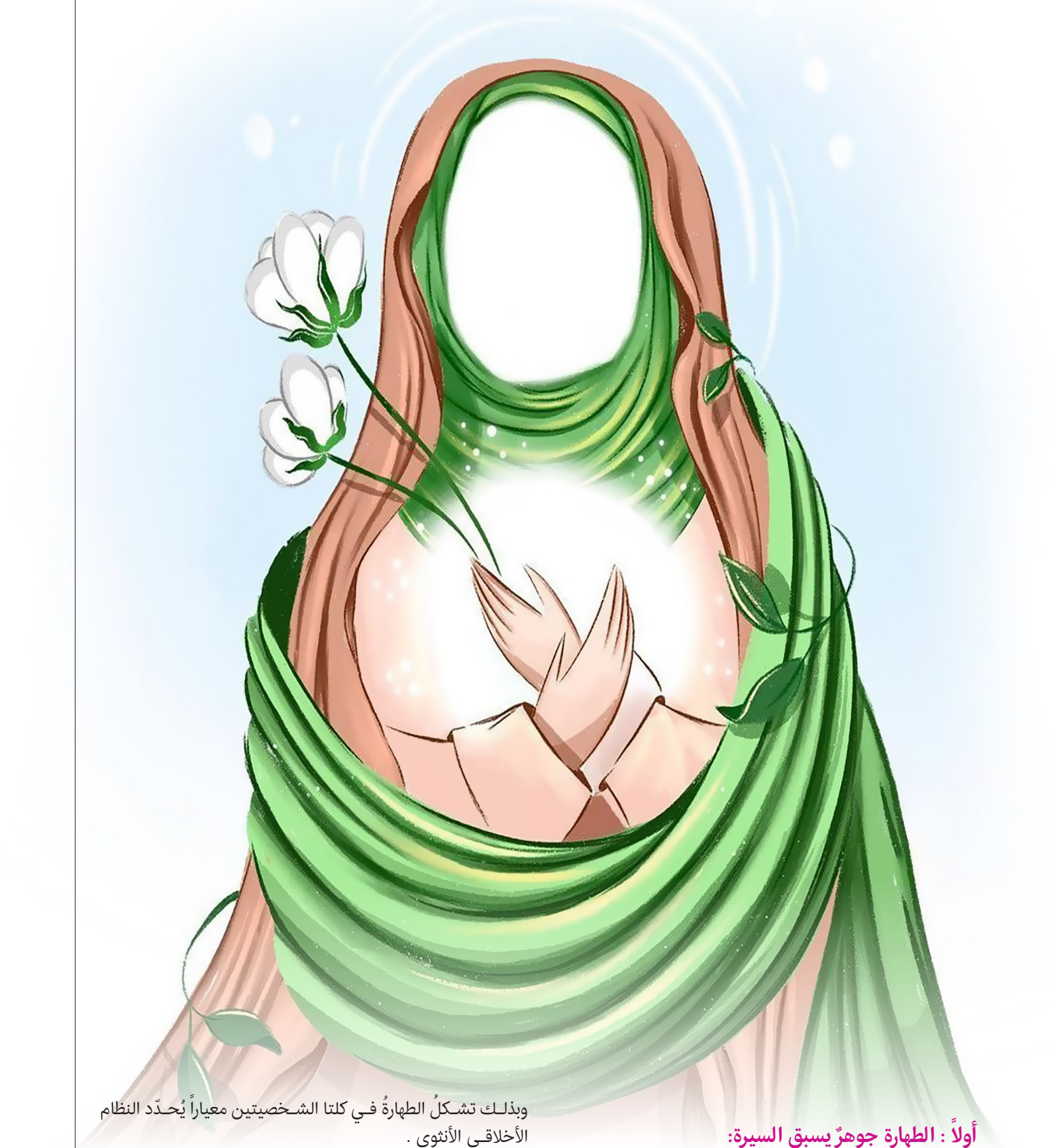

أولاً : الطهارة جوهرٌ يسبق السيرة:

طهارة العذراء ليست مجرد صفة ، بل هي هوية إلهية ، وطهارة الزهراء ليست حالةً عابرة ، بل اختيارٌ إلهي . فهما المطهرتان والمختارتان والمفضلتان على نساء العالمين كما ورد في النصوص الدينية والأحاديث الموثقة ، وكلتاهما قامت حياتها على الشفافية الداخلية :

صفاءٌ يجعل العالم أقل قبحاً وكرهاً وظلماً، ويمنح الروح قدرة على رؤية ما لا يراه الآخرون .

وبذلك تشكلُ الطهارةُ في كلتا الشخصيتين معياراً يُحدّد النظام الأخلاقي الأنثوي .

فالمكانة القدسية لهما لم تكن بسبب نَسَبِ مريم إلى أشراف آل عمران ولا بسبب نسبِ فاطمة إلى أشراف آل إبراهيم ، رغم أنّ هذا النسب يشكل لهما قيمة اجتماعية أورثتهما المناقب الأخلاقية والسلوكية .

كما أن هذه المكانة تؤسس لرؤية عادلة تنصف المرأة التي كرّمها رب العالمين

{إِنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى} سورة آل

عمران: ١٩٥
{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا} النساء : ١٩
فالقرآن الكريم أكد في مواضع كثيرة على أن المرأة إنسان كامل الكرامة والحقوق ، وأنها شريك للرجل في الإنسانية والتكليف والثواب . هذا بالنسبة للمرأة عموماً فكيف بهاتين المقدستين اللتين طهرهما الله واصطفاهما وحباهما بصفات الأنبياء ؟

ثانيا : الأمومة الرسالية ودورها في البناء العقائدي:

لا تُدرَس أمومة مريم وفاطمة ضمن علم الاجتماع الديني كنمط بيولوجي يشمل كل الأمهات البشريات ، بل كـأمومة رسالية :
فمريم: أمّ عيسى ، الذي أتى إلى الدنيا بمعجزة ربانية ، والذي يشكّل محور الهوية المسيحية ، وحمل رسالة المحبة والسلام ، ومثّل في الإسلام نبيًا صاحب معجزات .
وفاطمة: أمّ الحسن والحسين ، اللذين أصبحا في الوعي الإنساني والقيمي امتدادًا لسلالة النبوّة وأرْسَيا نهضةً إسلامية سددت مسار البوصلة ..
في كلتا الحالتين، تحوّلت الأمومة إلى حدثٍ مؤسِّس تتشكّل حوله العقائد ، والطقوس ، والفروض ، والذاكرة الجمعية .

ثالثًا: القرب من النبوّة بوصفِهِ مركزية رمزية:

تتشارك مريم وفاطمة شكلًا مميّزًا من القرابة البيولوجية للنبوة، ورغم أهمية هذا الأمر إلا أن هناك نساءً كثيرات من قرابات الأنبياء وهن من الصالحات ، ولكن الأهم من هذا كله القرابةُ الروحية من النبوّة ، إذ تمثّل مريم في الإنجيل وفي القرآن المرأة الأقرب إلى معجزة إلهية مباشرة ، وهي ولادة عيسى دون أب .
وتمثّل فاطمة في الرواية الإسلامية المُسندة «بضعةَ النبي» وما أحزنها أحزنه وما أرضاها أرضاه ، أي الامتداد الروحي والإنساني للرسول . " فاطمةُ بَضْعَةٌ مِنِّي، يُؤذِينِي ما آذَاها "
متفق عليه (البخاري ومسلم) . فهذه القرابة ليست نسبية فقط ، بل تأويلية إذ تظهر الشخصيتان كمرايا تعكس جوانب من الرسالة النبوية في ورع وتقى وصبر وتضحية السيدتين وصلاتهما وشفاعتهما بالبشر ، وفي سلوكهما وعلاقتهما بالمجتمع ، وتشكّل امتدادًا للقيم التي يحملها الأنبياء .

رابعًا: مسألة تنزُّل جبريل

١ ـ في حقّ مريم العذراء : النصوص الإنجيلية والقرآنية تتفقان على أن الرسول السماوي (جبريل/جبرائيل) ظهر للعذراء أثناء عزلتها واعتكافها في الهيكل ، كما ظهر لها مبشّرًا بالميلاد العجائبي " السلام عليك يا مريم ، يا ممتلئةً نعمةً ، مباركةٌ أنتِ في النساء ، ومباركةٌ ثمرةُ بطنكِ يسوع ... " .
٢ ـ في حقّ فاطمة الزهراء : تقدّم الرواية ذات الإسناد الصحيح مفهومًا يُعرف بـ «مصحف فاطمة»، وينصّ على أن جبريل كان يتردّد على فاطمة بعد وفاة النبي لمواساتها وإخبارها بما سيكون في المستقبل ، «إن فاطمة مكثت بعد رسول الله خمسة وسبعين يومًا، وكان دخلها حزن شديد على أبيها، وكان جبريل يأتيها فيُحسن عزاءها (الكافي ٤٥٨/١)
وهذه الحالة تشكّل استثناءً من القاعدة القائلة إنّ الملائكة تتنزّل على الأنبياء فقط .
ومن منظور أكاديمي محايد يمكننا القول إنّ كلا الحدَثَين (بشارة مريم، ومواساة الزهراء) يُعدّان مروياتٍ تأسيسيةً تُظهر مكانة استثنائية للمرأة داخل النسق النبوي ،
وهذه الرؤية تمنح كلتا الشخصيتين مرتبة روحية وسيطة بين النبوّة والبشرية .

خامسًا: الألم بوصفه آلية تأسيس للرمزية:

لم تكن حياة كل منهما سهلة بل تجشّمتا من العذابات ما لا يتحمله البشر ، فمريم واجهت قسوةَ قومِها واتهامهم لها ظلماً وبهتانا بسبب حملها من الروح القدس ، وكذلك عذابات الولادة في أصعب الظروف وهروبها من طغيان كهنة اليهود الى مصر مع وليدها ، كما صبرت على خوفها على ابنها الذي حمل رسالة الدين ولم يعترف به قومه ، وما لاقاه من عذاب وملاحقة اليهود له و .. و.. إلخ
وفاطمة واجهت منذ طفولتها الكثير من المصائب التي حلت ببيت النبوة ، وليس أصعبها حصار شعب أبي طالب ، والأخطار التي واجهها والدها الرسول من قريش واليهود ، وليس آخرها تحمُّلها لمسؤولية أبيها ومواساته ورعايته بعد فقدان أمها حتى صارت أمَّ أبيها ، وما واجهته بعد وفاة النبي كان أشد وطأة حين آذاها الطغاة نفسياً وجسدياً ومعنوياً ، وحرموها ميراثها.
كل منهما لم ترفع صوتها ، ولم تعترض ، ولم يدخل اليأس قلبها ، بل اكتفتا بالصبر والتوكل على الله والقبول بمشيئته ، وبإشعال المعنى المقدس من داخل الألم والمعاناة ، ذلك المعنى الذي علّمَ الناس ما كانوا غافلين عنه على مرّ العصور .
تُظهر التجربتان جانبًا مهمًا أنّ الألم يعني الابتلاء من المنظور الديني ، وأنه كان جزءًا من الهوية الروحية لكلتا المرأتين ، هنا يتحول الألم إلى بنية رمزية ، يُعاد إنتاجها في الذاكرة الدينية الجمعية عبر القرون .

سادسًا: قراءة مستقبلية لصياغة رمزية نسائية عابرة للأديان:

كل من السيدتين المقدستين تبدو في الدراسات المستقبلية للرموز الدينية مرشحةً لتمثيل الرتب التالية :

١ ـ نموذجٌ روحي نسائي عالمي يربط بين الأديان الإبراهيمية ويقدّم نموذجًا للمرأة التي تجمع بين الطهارة والطاقة الروحانية والحياة المُعاشة .

٢ ـ جسرٌ للتقارب بين المسيحية والإسلام إذ تمثّل كلتاهما نقطة تقاطع عقدية يمكن استثمارها في الحوار الديني المستقبلي .

٣ ـ رمزية للأنوثة الأخلاقية الجديدة التي تتجاوز الثنائيات التالية :

الضعف / السلطة ،

الأمومة / التأثير ،

الروحانية / الفعل الاجتماعي

إلى ثنائية النقاء / الرسالة .

٤ ـ إمكانية قراءتهما كنموذجين للمرأة الناطقة بالوحي غير النبوي ضمن المقاربات المعاصرة لدراسة علاقتهم بالملَك (جبريل) كما ترد في النصوص .

خاتمة

يتضح من تحليل المسارات النصية والتاريخية والرمزية أنّ العذراء والزهراء تلتقيان في نقاط مركزية :

الطهارة، والقرب من الرسالة ، والأمومة ذات البعد العقدي ، وتحمُّل الألم بوصفه شكلًا من أشكال الشهادة الصامتة .

أما في القراءات المستقبلية ، فإن الشخصيتين تبدوان نموذجين كاملين لإعادة إنتاجهما كرمزين عالميين للحضور الأنثوي المقدّس ، وللتقاطع الإنساني بين الأديان ، وللروحانية التي تتجاوز حدود الزمان والمكان .

الملهمات

مقدمة

في مدينة الأهواز، حيث تختلط ضفاف كارون بذاكرة الإنسان وروحه، تولد القصص كما تنبت الأشجار على ضفاف الماء. قصص ليست كغيرها... قصص تُكتب بحروف من الإيمان والعطاء، وتُختم بخدمة القرآن. في أحد أحياء هذه المدينة، كان هناك بيتٌ عاديّ كبقيّة البيوت، يضمّ غرفاً وسقفاً وجدراناً شاهدة على لحظات عائلية وذكريات تتوارثها الأجيال. لكن هذا البيت شاء الله له أن ينتقل من دائرة "الخاص" إلى رحابة "الوقف"، وأن يتحوّل من ملكيّة شخصية إلى وطنٍ للقرآن.

زينب خوش‌الأخلاق، امرأة أهوازية في السابعة والأربعين من عمرها، لم تكتفِ بأن يكون القرآن في قلبها ولسانها، بل جعلته في حجارة بيتها أيضاً. قرّرت أن تُوقف منزلها العائلي ليكون مركزاً قرآنياً للنساء والفتيات، تُعلّم فيه الحفظ، وتُنمّي الفهم، وتزرع في النفوس الأمل والأخلاق والمعنى. قرار لم يكن سهلاً... لا اجتماعياً ولا عاطفياً ولا اقتصادياً، لكنه كان قراراً يليق بقلبٍ رُزق اليقين.

في عالم يمضي سريعاً نحو الماديّة، وحيث تتراجع القيم أمام لهاث الحياة، يظلّ هناك من يرفع راية الروح ويقول:
القرآن هو الأصل... وهو المستقبل.

من بيت بسيط، بدأت رحلة كبيرة. رحلة امرأة آمنت بأنّ خدمة القرآن لا تحتاج إلى نفوذ ولا ثروة ولا شهرة... بل تحتاج إلى نية صادقة ويدين تعملان بنور الآيات.
واليوم، صار ذلك البيت قبلة صغيرة للخير، تنطلق منه أصوات التلاوة ودروس التربية القرآنية، وتلتقي فيه نساء يحملن الحلم نفسه: أن يكون القرآن حياة... لا كتاباً على الرفّ.

هذه المقابلة محاولة للاقتراب من هذه التجربة المباركة، لنسألها عن الدوافع، وعن الطريق، وعن الحلم الذي لا يزال يمتدّ... ما دام الوحي يهدي خطواتها.

السؤال الأول:

ما الذي دفعكِ إلى أن تقرّري وقف بيتكِ ــ وهو ميراث عائلي ــ لخدمة القرآن؟
هل كان القرار لحظياً أم ثمرة مسار فكري وروحي طويل؟ احكي لنا عن بداية هذا النذر وهذه النية.

الجواب :

لم يكن قرار وقف البيت للقرآن قراراً سريعاً أو عاطفياً لحظة انفعال، بل كان خلاصة رحلة طويلة امتدت سنوات، بدأت منذ طفولتي حين كان أبي ـ رحمه الله ـ يأخذني للمجالس القرآنية في المساجد والحسينيات القديمة في الأهواز. كنت أرى كيف ينساب القرآن على الألسنة، لكنه في ذات الوقت يحتاج إلى بيوت ترفعه وتُعلي شأنه وتُحسن خدمته. بعد رحيل أبي، شعرت بمسؤولية مضاعفة تجاه هذا البيت الذي كان يملكه. فبدلاً من أن يبقى جدراناً وسقفاً، أردته أن يصبح السقف الذي يستظل به كلام الله، وأن يتحوّل من مكان للسكن الجسدي إلى موطن للسكينة الروحية.

العديد من التحوّلات في حياتي دفعتني أكثر نحو هذا القرار:

سافرت، ودرست، وواجهت تحدّيات شخصية واجتماعية واقتصادية. وفي كل تجربة كان القرآن هو المرشد والسكينة. بدأت أدرّس تجويداً وحفظاً للبنات والنساء، وشعرت بأن البركة التي تنزل حيث يوجد القرآن، ليست مجرّد جملة وعظية بل حقيقة محسوسة. كلّما اتّسع أثر التعليم، ضاق المكان في البيت حتى أصبحت الجدران تضيق بالهمة القرآنية عند النساء والفتيات.

وصلت إلى قناعة نهائية:

"ما الذي نملكه حقاً إذا لم يكن مما نقدّمه لله؟"

شعرت أنّ أجمل ما يمكن أن يقدّمه الإنسان إلى الآخرة هو ما يتعدّى أثره إلى الناس. الوقف القرآني ليس حجراً، إنه استثمار في قلوب تتشكّل بالوحي، وفي أجيال ستقرأ وتفهم وتعمل. تلك اللحظة كانت امتداداً لطريق، وكانت ثمرة لدمعة نزلت في سجدة طويلة:

اللهم خذ بيتي واجعله بيتاً لكتابك.

ومن يومها، بدأت الحكاية.

السؤال الثاني:

حين شاركتِ هذه الفكرة مع العائلة والمقرّبين، كيف كانت ردود فعلهم؟ هل واجهتِ اعتراضات أو مخاوف؟ وكيف استطعتِ إقناع نفسك والآخرين وإرضاء الجميع؟

الجواب :

البيت ليس مجرد عقار في ثقافتنا، بل ذاكرة وأصل وجذور، لذلك كان من الطبيعي أن أسمع كلمات القلق والخوف:

"هذا ميراث أبيك... أنت تحتاجين مكاناً مستقراً لمستقبلك..."

بعضهم ظنّ أن القرار قد يحرج العائلة أو يخلق خلافاً حول الإرث. تجربتي كانت معقّدة عاطفياً لأنّ البيت يرتبط بذكريات طفولتي وروائح أمي وأحاديث أبي وسهرات العائلة. كيف أتنازل عن شيء بهذه الرمزية؟!

قضيت أشهراً وأنا أشرح لهم:

الوقف ليس تضحية، بل ترقية للنعمة.

وما نُهديه للقرآن لا يضيع، بل يعود إلينا بركة ورفعة وذكراً صالحاً. دعمتني أختي كثيراً، وكانت تقول لي:

"إذا كان هذا البيت سيفتح أبواب الجنة لأهلنا، فليبقَ مفتاحه بيد القرآن."

ولأنّني لم أفرض القرار، بل جعلته مشروعاً تشاركيّاً، تحوّل تدريجياً إلى مصدر فخر للعائلة. كثير من المخاوف تبدّدت مع أوّل مجلس قرآني أقيم في البيت... حين رأى الجميع دموع النساء وابتسامات البنات الصغيرات. عندها فهموا أنّ الجدران أصبحت تنبض، وأنّ البيت وُلد من جديد.

السؤال الثالث:

كيف تطوّرت مؤسّستكم القرآنية منذ تأسيسها حتى اليوم؟ ما أبرز التحدّيات ومسار البرامج التعليمية والثقافية؟

الجواب :

بدأ المشروع ببساطة: حلقة تحفيظ صغيرة تضمّ بضع فتيات من الحيّ. لم يكن لدينا تمويل رسمي ولا موارد كبيرة، فقط رغبة صادقة ومصحف على طاولة متواضعة. ثمّ شيئاً فشيئاً تكاثر العدد وتنوّعت الاحتياجات:

– دروس تجويد
– حلقات بيان وتفسير قصير
– لقاءات أخلاقية عائلية
– فعاليات تربوية للشابات

التحدي الأكبر كان الاستدامة: من أين نأتي بالمعلّمات؟ كيف نطوّر البرامج؟ كيف نستقبل عدداً أكبر؟ المساحة محدودة والدعم المالي قليل، لكن كان لدينا رصيد لا ينضب: الإخلاص. كنت أؤمن أنّ الله يفتح الأبواب لمن يخدم كتابه. وبالفعل، انضمّت إلينا متطوّعات متخصصات، قدّم بعض التجار دعماً بسيطاً، وتكفّل بعض الأهالي بمصاريف بناتهم.

واجهنا تحديات اجتماعية أيضاً: بعض العائلات لم تكن تسمح لبناتها بالخروج ليلاً، أو كانت تخشى الاختلاط أو الاختلاف المذهبي. لذلك اعتمدنا نهج الانفتاح الهادئ: القرآن للجميع، لا يُقصي أحداً.

تطوّرت المؤسسة إلى مركز يشمل:

– برامج للنساء
– فصول للأطفال
– تدريب قارئات محترفات
– أنشطة خدمة مجتمعية بروح قرآنية
– مسابقات سنوية للبراعم والشباب

كلّ هذا صاغ روحاً جديدة للمكان: البيت صار مدرسة، والمدرسة صارت مجتمعاً صغيراً تتماسك فيه القلوب حول آية أو تفسير أو دعاء.

السؤال الرابع:

في نظرك، هل يقتصر النشاط القرآني على التلاوة والحفظ؟ أم يتجاوزهما؟ وما أثر القرآن في الأسرة والمرأة والشباب من واقع تجربتك؟

الجواب :

أؤمن بكلّ يقين أنّ القرآن ليس مشروعاً صوتياً فقط. جمال الصوت مهم، والمهارات مهمّة، لكن القرآن لم ينزل ليُتلى فحسب، بل ليُغيّر الإنسان. لذلك كنّا نركّز في مؤسستنا على: الفهم، والتدبّر، وتطبيق القيم القرآنية في الحياة اليومية.

كنت أقول لطالباتي:

– ما قيمة أن تحفظي سورة النور ولا تنعكس أنوارها على سلوكك ؟

– ما الجدوى من دراسة سورة الحجرات دون أن تُصلح علاقاتك مع الآخرين؟

رأيتُ بأم عيني آثاراً عظيمة:

– أسرٌ كانت تعيش نزاعات، هدأتها مجالس القرآن

– فتيات كنّ يعانين ضعف الثقة بالنفس، فتفتّحن بالذكر والحفظ

– نساء وجدن في القرآن معنى جديداً للكرامة والهوية

– شباب تعلموا مسؤولية الكلمة والسلوك من خلال الآيات

تعاملنا مع القرآن كمنهج حياة... مرحلة تربوية تُعيد الإنسان إلى فطرته. كثير من الأمهات يقلن لي:

"ابنتي تغيّرت... صارت أهدأ، أرقى، أكثر احتراماً."

ذلك هو النصر الحقيقي.

السؤال الخامس:

هل كان لوقفكِ ونشاطك القرآني أثرٌ ألهم الآخرين؟ هل هناك من اتخذ خطوة مشابهة استلهاماً من تجربتك؟

الجواب

لم أكن أتوقع أن يتحول القرار إلى قدوة للآخرين... أنا امرأة بسيطة. لكن ما حدث أدهشني. جاءتني امرأة من حيّ مجاور وقالت:

"أريد أن أفتح غرفة من بيتي لحلقات التحفيظ، لأشعر بما شعرتِ به."

وأخرى تبرّعت بمكتبة دينية كاملة للمركز.

وبعض الشباب قدّموا خدمات تقنية وإعلامية مجاناً: تصوير، تصميم، بثّ للمحاضرات.

إحدى المعلمات كانت تقول دائماً:

"وقتك أغلى من مالك، فإذا أوقفته لله أكثرتِ الثمار."

وهكذا بدأت دائرة الخير تتّسع.

الوقف يُحرّك الإحساس بالمسؤولية. عندما يرى الناس مشروعاً حياً، قلوبهم تتحرك. ربما هذا المعنى هو أجمل ما خرج من التجربة: أن يتحوّل الخير إلى عدوى مباركة.

السؤال السادس:

ما رسالتك للنساء المسلمات في العالم حول دورهنّ في نشر الثقافة القرآنية؟ وما الإمكانات التي يحملنها لصناعة حضارة قرآنية؟

الجواب

رسالتي لكل امرأة مسلمة:

أنتِ الحامل الأول للقرآن في قلب الأسرة والمجتمع.

لا حواجز أمامكِ سوى ما تصنعه أوهامك. الدور القرآني ليس منبراً أو ميكروفوناً، بل بناء أجيال، وتربية ضمائر، وصناعة إنسان مؤمن يعرف هويته ورسالة وجوده.

المرأة تمتلك:

– الرحمة التي تُنبت الإيمان في القلوب

– الصبر الذي يثبّت الخطوات

– اللغة العاطفية التي تجعل القرآن قريباً ومحبّباً

– القدرة على التأثير في الأبناء والمجتمع

الحضارة تبدأ من البيت، والبيت في يد المرأة. كل مدرسة وكل مصلٍّ وكل عالم، كان يوماً طفلاً في حضن أمّ تهمس له بآية أو دعاء.

أقول لهن:

لا تنتظرن دعماً كبيراً أو مشروعاً ضخماً...

ابدأن من غرفة صغيرة، من حلقة قصيرة، من تلاوة جماعية مع أبنائكن.

فالحضارات لا تُبنى دفعة واحدة، بل تبدأ من بذرة.

السؤال السابع:

ما أهم درس تعلّمتِه في هذا المسار؟ ولو عاد بك الزمن، هل ستتخذين القرار ذاته؟

الجواب أكبر درس أنّ الله يكمل نقصنا إذا بدأنا بصدق. لم أكن أملك الكثير: لا علاقات واسعة، ولا دعم مالي، ولا سنوات من الخبرة. كنت أملك فقط يقيناً بأنّ القرآن أمانة يجب أن تُحمل.

ذلك اليقين فتح أبواباً لم أتخيّلها.

نعم، لو عاد الزمن ألف مرة، لاتخذت القرار نفسه. ربما كنت سأبدأ أبكر، لأنّ كل يوم يمرّ دون خدمة القرآن، هو خسارة لفرصة حياة مباركة. تعلّمت أيضاً أن الطريق لن يخلو من الغصص والهموم، لكن هذه الهموم أجمل حين تكون في سبيل الله. وأنّ الوقف لا يغيّر فقط حياة المستفيدين، بل يغيّر صاحبه قبل الجميع: يجعل قلبه أليين، ونظره أبعد، وروحه أعلى.

السؤال الثامن:

ما طموحكِ لمستقبل المؤسسة وللجيل الشاب؟ وكيف ترين إمكانات التوسّع القرآني محلياً ودولياً؟

الجواب

أحلم أن يتحوّل مركزنا إلى نموذج نسائي قرآني رائد في الأهواز، ثم في خوزستان، ثم خارج إيران. نريد أن نؤسس:

– أكاديمية نسائية لتأهيل المعلّمات والقارئات
– منصّة إعلامية رقمية تبثّ البرامج القرآنية للشباب
– مشاريع اجتماعية مستوحاة من أخلاق القرآن
– تعاوناً مع المراكز القرآنية في الدول العربية والإسلامية

الشباب اليوم يعيشون صراعاً فكرياً وهوياتياً كبيراً، وأعتقد أن القرآن يمكن أن يكون العاصم والمرشد إذا قدّمناه لهم بلغة عصرهم، لا بلغة منفصلة عن واقعهم. أتمنّى خلق بيئة قرآنية جاذبة وليست واعظة فقط:

ورش عمل، نوادٍ شبابية، موسيقى هادئة للإنشاد، فنون جميلة بقيم قرآنية...

نريد أن يشعروا بأنّ القرآن ليس ماضياً مُقدّساً، بل حاضراً حيّاً، ومستقبلاً مشرقاً.

حلمي الأكبر... أن يحمل جيل جديد الرسالة بعدنا.

فنحن لسنا إلّا بداية السطر.

والقرآن لا تنتهي حروفه.

حين أعود إلى تلك اللحظة التي وضعت فيها مفتاح البيت على كتاب الله، أشعر أنني لم أفقد شيئاً... بل استرددت نفسي.

لقد منحت البيت حياة جديدة... ومنحني البيت طريقاً إلى الله.

وكلّ فتاة تحفظ آية تحت سقف هذا الوقف، هي شهادة مكتوبة عند الله، لا تمحوها الأيام.

أرجو أن يُقبَل هذا العمل مهما كان صغيراً، وأن يجعل الله لنا ولأهلنا قسطاً من قوله تعالى:

"وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا"

فهذه الرحلة بدأت بآية، ولا تزال مستمرّة...

وما دام القرآن حيّاً فينا، لا تموت أحلامنا.

في حضرة الكتاب

المقدمة

تُمثّل شخصيّة السيّدة فاطمة الزهراء عليها السلام واحدة من أبرز الشخصيات المحوريّة في التاريخ الإسلامي، لما تحمله من عمقٍ روحيّ، ومكانةٍ عقديّة، ودورٍ اجتماعي وسياسي ترك بصماته في الوعي الإسلامي على امتداد العصور. وقد حظيت هذه الشخصيّة الفريدة باهتمام واسع من قبل العلماء والباحثين في مختلف المدارس الإسلاميّة، كما استوقفت العديد من المستشرقين الذين حاولوا مقاربة سِيرتها ضمن سياقات تاريخيّة وثقافيّة متنوّعة. ومع تعدّد الرؤى وتنوّع المناهج، يبقى الثابت أنّ فاطمة الزهراء ليست مجرّد ابنة النبيّ صلى الله عليه وآله، بل هي مدرسة في الإيمان والوعي والجهاد، تمثّل الامتداد الأصيل للرسالة المحمديّة وقيمها العليا.

وانطلاقاً من هذا الحضور العميق، جاءت هذه المقالة لتسلّط الضوء على عشرة كتب مهمّة تناولت شخصيّة السيّدة فاطمة عليها السلام، من مؤلّفي الشيعة والسنّة، إضافةً إلى مجموعة من الدراسات الاستشراقيّة. وقد تم اختيار هذه الكتب بدقّة لكونها تمثّل نماذج متنوّعة في المنهج والتحليل، وتكشف عن زوايا مختلفة في قراءة السيرة الفاطميّة، سواء من ناحية دورها في البيت النبوي، أو مواقفها في مراحل ما بعد رحيل الرسول صلى الله عليه وآله، أو مكانتها الروحيّة والفقهيّة والأخلاقيّة.

وتأتي أهميّة هذا المسعى من أنّ البحث في سيرة السيّدة فاطمة عليها السلام لا يقتصر على البعد التاريخي فحسب، بل يمتدّ ليشمل فهمًا أعمق للقيم التي شكّلت الركيزة الأساسيّة لنهضتها ودورها الرسالي. ولذلك حرصتُ في هذه المقالة على عرض مضامين هذه الكتب، وبيان خصوصيّاتها، ومناقشة منهجيّاتها، بهدف تقديم صورة شاملة ومقارنة تساعد القارئ على إدراك ملامح هذه الشخصيّة العظيمة بأبعادها المختلفة. وبذلك تتحوّل القراءة من مجرّد استعراض للمصادر إلى محاولة للاقتراب من جوهر السيرة الفاطميّة ومكانتها في الوجدان الإسلامي.

أولاً: مسند فاطمة الزهراء س لجلال الدين السيوطي

يُعدّ كتاب "مسند فاطمة الزهراء (ع)" للإمام الحافظ جلال الدين السيوطي واحداً من أهم المصنفات التي جمعَت الأحاديث والروايات المتعلقة بالسيدة الزهراء في التراث السني. السيوطي، وهو من كبار علماء القرن التاسع الهجري، كان موسوعيّ المعرفة، متبحراً في علوم الحديث، والتفسير، واللغة، والفقه، وله مكانة رفيعة في عالم التوثيق والرواية. لذلك فإن جمعه لمسند خاص بفاطمة الزهراء (ع) يعطي العمل قيمة علمية كبيرة.

يتميّز الكتاب بأنه لا يكتفي برواية الأحاديث الواردة عن فاطمة أو بشأنها، بل يقدم مسنداً كاملاً لكل ما رُوي عنها في مختلف كتب الصحاح والمسانيد والمعاجم، الأمر الذي يجعل الكتاب مرجعاً أساسياً للباحثين في السيرة الفاطمية.

يضم المسند روايات عن فضائلها، عبادتها، زهدها، قربها من النبي (ص)، ودورها في حياة المسلمين. كما يورد أحاديث حول مكانتها الخاصة، مثل قوله (ص): "فاطمة سيدة نساء أهل الجنة"، بالإضافة إلى الروايات المتعلقة بمواقفها الكبرى بعد وفاة النبي.

يمتاز السيوطي بأسلوب مختصر وواضح، إذ يورد الرواية مع سندها، ثم يشير إلى مصدرها الأصلي. هذا العمل يجعل الباحث قادراً على تتبّع الرواية من جذورها، وتقييم صحتها، وفهم تطورها عبر الزمن. وقد تضمن المسند أيضاً مجموعة من الشروح الموجزة التي تساعد القارئ على فهم سياقات بعض الروايات وأسباب ورودها.

إن قيمة هذا الكتاب لا تكمن فقط في توثيق الروايات، بل في كونه يعكس احتراماً بالغاً لدى أهل السنة لشخصية فاطمة الزهراء (ع) ومقامها الإيماني الرفيع. قارئ هذا الكتاب يشعر بأنه أمام سجلّ نقيّ من الأحاديث التي تكشف الجانب الروحي، والأخلاقي، والإنساني في حياة السيدة الزهراء، وتؤكد مكانتها كواحدة من أعظم نساء التاريخ.

ثانياً: فاطمة الزهراء والدولة الفاطمية لعباس محمود العقاد

يأتي كتاب "فاطمة الزهراء والدولة الفاطمية" ضمن سلسلة العبقريات التي اشتهر بها الكاتب والأديب المصري الكبير عباس محمود العقاد. غير أن هذا الكتاب يتميز عن غيره بأنه يجمع بين الدراسة الأدبية و البحث التاريخي، فيقدّم قراءة فريدة لشخصية الزهراء (ع) من زاوية فكرية وثقافية، لا من زاوية مذهبية أو تقليدية.

يرى العقاد أن فاطمة الزهراء (ع) ليست مجرد صورة تاريخية، بل هي نموذج إنساني خالد. يبدأ الكتاب بتقديم لمحة أدبية عن نشأتها في بيت النبوة، وكيف تشكلت معالم شخصيتها من خلال علاقتها بأبيها النبي (ص) وبزوجها علي بن أبي طالب (ع). ويقدّم العقاد رؤية واضحة عن توازن فاطمة بين الرقة الأنثوية والقوة الروحية، وبين دور الزوجة والأم ودور المدافعة عن الحق.

ثم ينتقل الكتاب إلى معالجة مسألة "الدولة الفاطمية"، في فصل مستقل يوضح فيه العقاد أن هذه الدولة التي ظهرت في شمال إفريقيا وانتشرت لاحقاً إلى مصر والشام، إنما اتخذت اسم "الفاطمية" لتأكيد الانتساب الرمزي لفاطمة الزهراء (ع). ويستعرض المؤلف طبيعة الفكرة التي أراد الفاطميون تأسيسها، وتمييزها عن شخصية الزهراء التاريخية والنموذجية.

يبيّن العقاد بوضوح أنّ فاطمة ليست مسؤولة عن الدولة الفاطمية من حيث العقائد أو الممارسات، بل إن الدولة استخدمت اسمها رمزاً للشرعية الروحية والسياسية.

ما يجعل هذا الكتاب مميزاً هو أسلوب العقاد الفلسفي العميق. فهو يكتب بلغة أدبية راقية، وبتحليل نفسي دقيق، ويستخرج من سيرة فاطمة دروساً تتعلق بالإنسان والواجب الأخلاقي، وقيمة الموقف.

القارئ يخرج من الكتاب بوعي جديد حول شخصية السيدة الزهراء: امرأة عظيمة، وشخصية إنسانية عالمية، تتجاوز حدود التاريخ والمذهب من أجل قيم الحق والعدل.

صحّ كلامك يا حامد — كان خطأ أن أترك اسم مؤلِّف كتاب إتحاف السائل بما لفاطمة من المناقب غامضًا في المقالة السابقة. دعنا الآن نصحّح هذا ونقدّم لك مقالة جديدة مع اسم المؤلِّف الحقيقي، ونركّز على النقاط الحساسة والمهمة في الكتاب بشكل يجذب القارئ.

ثالثاً: إتحاف السائل بما لفاطمة من المناقب — فاطمة الزهراء سيدة نساء أهل الجنة

يُعدّ كتاب «إتحاف السائل بما لفاطمة من المناقب» للإمام عبد الرؤوف المناوي القاهري أحد أهم المؤلفات التي أفردت بحثاً مستقلاً في فضائل السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام. والمناوي هو صاحب «فيض القدير» و«التيسير بشرح الجامع الصغير»، ومن أبرز أعلام الحديث والتصوف في القرن الحادي عشر الهجري، وقد عُرف بدقته في جمع الروايات وتحرير الأسانيد، وبأسلوبه الروحي العميق القادر على تقديم المعنى الشرعي في روحانية نقية.

يمتاز الكتاب بأنه يقدم صورة متوازنة عن الزهراء (ع)، تجمع بين التوثيق العلمي وبين إبراز البعد القدسي لشخصيتها. يبدأ المناوي عرضه من خلال النصوص المتواترة في كتب السنة حول منزلة فاطمة، مركزاً على الحديث المركزي: «فاطمة بضعة مني»، وهو محور حسّاس يشتغل عليه المناوي بعمق، ليكشف دلالته العقدية والتربوية، ويبيّن أن هذه العلاقة ليست علاقة أم بابنتها فحسب، بل علاقة رسالة بامتدادها.

من النقاط اللافتة في الكتاب معالجة المناوي لمقام سيدة نساء أهل الجنة، حيث لا يكتفي بذكر الروايات، بل يحلّل دلالاتها ويربطها بصفاتها الأخلاقية والروحية، فيبرز صورتها كرمز للسلام الداخلي، والطهر، والزهد، والكرامة. كما يتوقف عند علمها، وعبادتها، ومواقفها القوية، مسلطاً الضوء على خطبتها الشهيرة بعد وفاة النبي (ص)، وهي من أكثر النقاط حساسية في السيرة. ويعالج المناوي هذه المرحلة بحذر العالم وورع المحدّث، فيكتفي بذكر الروايات الثابتة دون الانزلاق إلى الجدل، مما يمنح كتابه قيمة موضوعية عالية.

كما يعرض المؤلف علاقتها بأمير المؤمنين علي (ع)، ويصف بيتها بأنه "مَنبَع نور" خرجت منه الثقل الأصغر: الحسن والحسين. ويكشف في هذه الفصول قدرة المناوي على الجمع بين الإسناد والتحليل الروحي بأسلوب يجذب القارئ ويجعله يعيش مع سيرة الزهراء بإحساس الاحترام والإجلال.

إن كتاب «إتحاف السائل» ليس مجرد تجميع فضائل، بل وثيقة محبة كتبها عالم سني كبير، تُظهر اتفاق الأمة على مقام فاطمة الزهراء (ع)، وتكشف حضورها كرمز أممي يجمع ولا يفرّق، ويمنح القارئ تجربة معرفية وروحية لا تُنسى.

رابعاً: الموسوعة الكبرى عن فاطمة الزهراء عليها السلام — إسماعيل الأنصاري الزنجاني

تُعدّ "الموسوعة الكبرى عن فاطمة الزهراء عليها السلام" من أضخم وأهم المشاريع البحثية التي أُلّفت حول السيدة الزهراء في العصر الحديث، وقد أنجزها الباحث الموسوعي إسماعيل الأنصاري الزنجاني الخوئيني بعد سنوات طويلة من التحقيق، والجمع، والتصنيف، وفهرسة النصوص التاريخية والحديثية من مختلف المصادر الشيعية والسنّية على حد سواء. هذه الموسوعة التي تقع في خمسةٍ وعشرين جزءاً لا تُقدّم مجرد سرد تاريخي، بل تُشكّل عملاً تحليلياً شاملاً يهدف إلى تقديم

"فاطمة الحقيقة" كما وردت في التراث الإسلامي بوجهيه الروائي والفكري.

تميز الأنصاري بمنهج دقيق قائم على الجمع الموضوعي، حيث رتّب الروايات والأحداث بحسب محاورها، فبدأ بالبحث في نسب الزهراء وخصوصية خلقها، ثم تناول مرحلة الطفولة في بيت الوحي، لتشكّل صورة واضحة عن تكوين الشخصية الفاطمية قبل بدء رسالتها الاجتماعية. ثم ينتقل المؤلّف إلى زواجها من أمير المؤمنين (ع)، وملامح البيت العلوي، وعلاقة الزوجين التي أصبحت نموذجاً خالداً في التكامل الروحي والأخلاقي.

ومن أهم محطات الموسوعة تركيزها على دور الزهراء السياسي والاجتماعي بعد وفاة النبي (ص). فقد أفرد الأنصاري فصولاً متعمقة لخطبتها في مسجد النبي، وقضية فدك، ووقوفها في وجه الانحراف السياسي الذي أصاب الأمة منذ الأيام الأولى. ويستعرض الروايات المرتبطة بمظلومية الزهراء (ع) وتحليل أحداث الهجوم على دارها، مستنداً إلى عدد كبير من المصادر، مما يعطي القارئ رؤية واسعة ومتوازنة.

كما تحتوي الموسوعة على أبواب خاصة بفضائل الزهراء، وأحاديث مقامها، ومعاجزها، وروايات عبادتها وعلمها، إضافة إلى فصل مهم عن مكانتها عبر التاريخ الإسلامي وتأثيرها في الوجدان الإسلامي، وكل ذلك مدعّم بوثائق وشواهد دقيقة.

قيمة هذه الموسوعة تكمن في شموليتها وعمقها؛ فهي لا تقدّم سيرة فحسب، بل تُعيد بناء صورة فاطمة (ع) من خلال آلاف النصوص المصنّفة والمحققة، بأسلوب يلائم الباحثين والمهتمين والقراء على حد سواء.

إنها بحقّ من أعظم الأعمال التي خُصّصت للسيدة الزهراء (ع) في المكتبة المعاصرة، وتُعد مرجعاً لا غنى عنه لكل من يريد أن يقترب من شخصيتها الرسالية الخالدة.

خامساً: فاطمة س من المهد إلى اللحد

يُعدّ كتاب "فاطمة من المهد إلى اللحد" للعلامة المحقق السيد محمد كاظم القزويني من أبرز الكتب التي تناولت سيرة السيدة فاطمة الزهراء (ع) بأسلوب سردي ساحر ولغة عاطفية علمية في آنٍ واحد. القزويني، المشهور بقدرته على المزج بين التاريخ والتحليل والوجدان، قدّم في هذا الكتاب لوحة مكتملة الأركان لشخصية الزهراء (ع)، معتمداً على المصادر المعتبرة من كتب الحديث، والسِّيَر، والتاريخ الإسلامي.

الكتاب يتكون من فصول مترابطة تبدأ من ولادة السيدة الزهراء (ع) وما صاحبها من دلالات تربوية وروحية، ثم ينتقل إلى مرحلة طفولتها في بيت النبوة، حيث تتشكل معالم الشخصية الفاطمية التي جمعت بين القوة والرحمة والنقاء. بعد ذلك يروي المؤلف بتفاصيل دقيقة زواجها من أمير المؤمنين (ع)، وكيف كان بيتهما مدرسة في الإيثار والزهد والمودة.

من أبرز محطات الكتاب تحليله لمرحلة ما بعد وفاة النبي (ص)، تلك المرحلة التي كشفت الموقف الفاطمي الصلب في الدفاع عن الإمامة وحقوق أهل البيت. ركّز القزويني على خطبة فدك بوصفها وثيقة سياسية وفكرية كبرى تُظهر وعي الزهراء (ع) بالتهديد الذي كان يواجه المشروع النبوي. كما سرد بدقة أحداث الهجوم على دار الزهراء (ع) وما ترتّب عليه من آلام جسدية وروحية انتهت بشهادتها.

ما يجعل هذا الكتاب جذاباً للقارئ هو لغته القريبة من القلب، وقدرته على تقديم التاريخ بروح تُشعر القارئ أنه يعيش الأحداث. القزويني لا يقدم سرداً بارداً، بل يكتب بروح المحقق والعاشق، فيجمع بين الدقة والمنحى الروحي، مما يجعل الكتاب من أهم ما كُتب في السيرة الفاطمية وأكثرها تأثيراً.

سادساً: فاطمة هي فاطمة — الدكتور علي شريعتي

يُعدّ كتاب "فاطمة هي فاطمة" واحداً من أشهر وأعمق النصوص الفكرية للدكتور علي شريعتي، المفكر الإيراني المعروف بأسلوبه الأدبي الثوري وقدرته على إعادة تقديم الشخصيات الدينية بصياغة حضارية معاصرة. لم يكتب شريعتي هذا الكتاب بوصفه سيرة تقليدية للزهراء (ع)، بل كتبه بوصفه بياناً إنسانياً-رساليا يُخاطب المرأة المسلمة والإنسان المعاصر على حدّ سواء.

في مقدمة الكتاب، يبيّن شريعتي أن فاطمة (ع) ليست مجرد امرأة من التاريخ، بل هي "نموذج" يجب أن يُستعاد في واقع الأمة. ينطلق في كتابه من قراءة وجودية-اجتماعية لشخصية الزهراء، فيقدّمها كرمز للحرية، والوعي، والمسؤولية، والصمود الأخلاقي. هو لا يكتب عن الأحداث فحسب، بل يحاول كشف روح الشخصية ومعناها العميق، وهذا ما جعل الكتاب من أكثر النصوص تأثيراً في الأوساط الشبابية والثقافية.

من أبرز ما يميّز الكتاب هو إعطاء شريعتي رؤية جديدة للمرأة المسلمة، ليست رؤية جامدة ولا تقليدية، بل رؤية تجعل من فاطمة (ع) نموذجاً للتحرر من الظلم، والدفاع عن العدالة، والالتزام بالقيم.

يتناول شريعتي مواقف الزهراء (ع) بعد وفاة النبي (ص) بوصفها ذروة حضور شخصيتها الرسالية: خروجها للمطالبة بحقّها، مواجهة الانحراف السياسي، وإصرارها على إيصال صوت النبي رغم قسوة المرحلة. ويعتبر أن هذه المواقف تجعلها "الفتاة التي قال عنها النبي: سيدة نساء العالمين"، لا فقط لجمال روحها،

بل لقوة موقفها.
الكتاب مليء بالصور الأدبية، والجمل التي تهزّ الوجدان، والتأملات الفلسفية التي تجعل القارئ يعيد التفكير في دور المرأة، والهوية، والإنسان، والرسالة.
إنه كتاب لا تخرج منه كما دخلت، فهو ليس سرداً بل إحياءً لفاطمة (ع) بصوت معاصر يوصل رسالتها إلى القارئ مهما كان ثقافياً أو زمنياً.

سابعاً :لويس ماسينيون: فاطمة الزهراء رمز الروحانية الإسلامية

لوي ماسينيون (Louis Massignon) ليس مجرد مستشرق عادي؛ هو عالم روحانيّ واجتهاديّ تعامل مع الإسلام من داخل تجربة روحية وعلمية معًا. في كتاباته ومقالاته المتفرقة تناول ماسينيون شخصية فاطمة الزهراء (ع) بوصفها رمزًا مزدوجًا: رمز رهبانيّ/تأملي يشابه حضور مريم في المسيحية، وفي الوقت نفسه رمز ارتباط الشعوب بالأصل الروحي للنبيّ. ماسينيون قرأ التقاليد الفاطمية ليس كمجرد غرائب تاريخية بل كقنواتٍ روحية تعبّر عن «نقش معنوي» في الذات الإسلامية؛ لذا لم يكن قراءه تقليديًا أو انتقاديًا في معناه السلبي، بل كان يحاول تفسير حضور فاطمة في خيال المسلمين وارتباطها بمظاهر التصوف والشعور الديني الجماعي.
لماذا النصّ مناسب لك؟ لأن ماسينيون يقدّم فاطمة بُعدًا إنسانيًّا ومعنويًا، ويحفّز القارئ على قراءة الأبعاد الرمزية للتراث الفاطمي: كيف يصبح اسمٌ واحد مركزًا للحنين والبراءة والشهادة والعدالة في وجدان أمّة. إن أردت مادة للعمل الإعلامي أو الثقافي فمقاربة ماسينيون تمنحك صياغة «احترامية» تجاه الشخصية تُقرأ من منظور روحاني وإنساني بعيدًا عن التجريح أو التهويل. (راجع حول ماسينيون وعلاقته بفاطمة وزياراته لدراسات التصوف
ترجمات وطبعات: بعض مقالات ماسينيون ودراساته الأكاديمية تُرجمت أو نُقلت إلى العربية ضمن مجموعات دراسات عن التصوف والعلماء الغربيين المهتمين بالإسلام؛ لكن إنّ وجود كتاب عربي مُجمل بعنوان واحد عن فاطمة لعله نادر — فالأفضل البحث في دواوين مقالاته ومجموعات دراسية أو دكتوراه جامعية تنقل أجزاء من رؤيته.

ثامناً: ولفرد مادلونغ: فاطمة في سياق الخلافة المبكرة

ولفرد (Wilferd Madelung) باحث غربي حديث السمعة والأثر، ونال احترامًا واسعًا في الدراسات الإسلامية بسبب حياديته العلمية ودقّته في الاستدلال بالمصادر. في كتابه الشهير عن انتقال الخلافة والسلطة الأولى في الأمة («The Succession to Muhammad») يقرؤُ مادلونغ شخصية فاطمة الزهراء في إطارٍ سياسي وتوثيقي بحت: يضع رواياتها وخُطبها ومواقفها في سياق الحدث السياسي الذي تلا وفاة النبي، ويحلّلها بدقّة سنديّة ونقدية دون تهجم أو تبسيط. مادلونغ لا يقلّل من مكانتها الروحية، لكنه بالأساس يقاربها باهتمام محقِّق: لماذا كانت مواقفها مركزية يومئذ؟ ما دورها في تحريك عناصر النصّ والسلطة؟ وكيف قرأها المعاصرون واللاحقون؟
قراءة مادلونغ مهمة لأنها تمنح الباحث مادةً تاريخية موثوقة مع تحفّظ منهجي على الروايات المتناقضة؛ النتيجة: عرض محترم علميّ يقدّم فاطمة كشخصية ذات حضور سياسيّ وروحانيّ معًا، وليس كرمزٍ مُهزأ أو كهدف نقديّ عدواني. (انظر تقديمات الدراسات الحديثة حول المراحل الأولى للخلافة التي تستشهد بمادلونغ.
ترجمات وطبعات: كتاب مادلونغ يُقرأ على نطاق أكاديمي عالمي، وقد تُرجمت أجزاء منه للعربية في دراسات ومقالات أو نُسخًا كاملةً في طبعات عربية أكاديمية ببعض دور النشر أو توزيعات الجامعات؛ إذا أردت أبحث لك عن طبعات عربية متاحة للشراء أو للتحميل من مكتبات جامعية.

تاسعاً: أمير معزي: فاطمة بين الذاكرة الشهيدية والرمز الطقسي

محمد علي أمير-معزي (أو Amir-Moezzi) باحث فرنسي من الجيل الحديث المتخصص في الفكر الشيعي والفقهي، ويعدُّ أحد أكثر المعاصرين فهمًا للتراث الفاطمي وأدب أهل البيت. يقدم أمير-معزي في أعماله ومقالاتٍ مركّزة ضمن كتبٍ جماعية مثل معاجم أو دراسات حول الأسرة المحمدية قراءةً مركبة: يرى في فاطمة علامةً لالتقاء الديني والسياسي والأسطوري. لكنه لا يفعل ذلك بأدلجة أو تهكّم؛ بل يحلل كيف صاغت قراءات الشيعة وخاصة الصوفية والأحزاب الروحية صورتها، وكيف غدت محورًا لممارسات طقسية وروحية تُغنّي المخيال الإسلامي. هذا يجعل قراءة أمير-معزي قيمةً لمن يريد فهم «كيف يتكوّن حَبّ الفاطميّة في الوجدان» من زاوية اجتماعية-أكاديمية.

عاشراً: كارين أرمسترونغ (Karen Armstrong)

يُعدّ كتاب «نساء النبي وبناته: قراءة روحية في سيرة فاطمة الزهراء» للباحثة البريطانية كارين أرمسترونغ من بين أهم

الأعمال الغربية التي تناولت شخصية السيدة فاطمة الزهراء (ع) بعمقٍ واحترامٍ بالغين، بعيدًا عن التحامل الاستشراقي القديم أو القراءات المتحيّزة. أرمسترونغ معروفة عالميًا بأنها من أكثر الكتّاب الغربيين إنصافًا للإسلام، وقد كُرّمت في عدّة محافل لكتابتها عن النبي محمد (ص) بوصفه «معلّم الرحمة»، وهذا الاحترام الإنساني يبرز بوضوح في تناولها لفاطمة الزهراء.

تطرح أرمسترونغ في هذا العمل قراءة مختلفة تمامًا عن النمط المتداول؛ فهي لا تقدّم فاطمة كشخصية تاريخية ساكنة، بل كـ روحٍ مركزية في قلب الرسالة الإسلامية. تقول إن فاطمة لم تكن ابنة نبي فحسب، بل كانت «الوجه الأنثوي للنبوة»، والمرآة التي انعكس فيها الجانب الرقيق، الرحيم، العادل، والصابر من شخصية الرسول. وهي ترى أن من يريد فهم قلب النبي حقًا، عليه أن يقرأ فاطمة قبل أن يقرأ أي شخصية أخرى من آل البيت.

تتوقف المؤلفة عند تفاصيل دقيقة في علاقتها بأبيها: عناقه لها، قيامه لها إذا دخلت عليه، وبكاؤه لأجلها، وتعتبر هذه اللحظات شفراتٍ روحية تكشف مكانتها الاستثنائية. كما تعالج أرمسترونغ مواقف فاطمة بعد وفاة النبي (ص)، وتصفها بأنها «صوت الضمير الأخلاقي للأمة الناشئة». لا تدخل في الجدل السياسي، ولا تميل لأي موقف طائفي؛ بل تسعى إلى فهم دوافعها الإنسانية: الدفاع عن الحق، وصون إرث أبيها، وحماية كرامة الرسالة.

وتخصص الكاتبة أيضًا مساحة واسعة للحديث عن أثر فاطمة في الوجدان الإسلامي: حضورها في الأدعية، والمجالس الروحية، والتصوف، وصورتها كنموذج للطهر الأمومي والنقاء الداخلي. وتبيّن كيف تحوّلت إلى رمز عالمي للمرأة المؤمنة الصابرة التي تجمع بين القوة والحنان.

يمتاز الكتاب بأنه لا ينتقص، لا يهاجم، ولا يختزل؛ بل يُقدّم فاطمة بوصفها قطعة من النور، وجسرًا لفهم البعد الروحي العميق في الإسلام. وهو عمل يصلح للباحثين وطلاب الفكر، وللقارئ الذي يريد رؤية غربية منصفة ترفع من قيمة السيرة لا أن تهدمها.

ريحانة المعنى

إلى مولاتنا السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام

فاتحة معمري/الجزائر

١.على هيئة التكوين لُفّ كساؤها
ومن كوة في الغيب مُدّ ضياؤها

•••

٢.لها من تمام الخلق سرّ وراثة
فمن عالم الأشهاد تمّ اصطفاؤها

•••

٣.وتمّ لها ما لم يُتمّ لغيرها
كأن الذي شاءته فيها يشاؤها

•••

٤.لها من خيام الواصلين منازل
إذا ما تناهى للصعود دعاؤها

•••

٥.لها من ضمير الوحي نفس مطيّة
إذا ما تجلت للنزول سماؤها

•••

٦.وإشراقها للكون سطوة هيبة
ويأتي على قدر الكمال بهاؤها

٧.كساها أبوها تاج عزّ ورفعة
و قال لها سيري فزاد حياؤها
•••
٨.فعن موكب الزهراء غضوا تأدبا
فريحانة المعنى يمر سناؤها
•••
٩.و من كوّة الإجلال تبدو مجرة
يُجر على الماء القديم ردؤها
•••
١٠.مبلّلة بالطهر تقطر عفة
و ينضح من نور النبيّ إناؤها
•••
١١.هي الكوثر النوريّ بشرى لوارد
و كلّ الكرام الكاتبين دلاؤها
•••
١٢.لها من عليّ ما صفا من نبيّه
كأن صفاء النفس فيه صفاؤها
•••
١٣. إذا القمر الدريُّ ألقى احتواءه
على الشمس ما ألقى عليه احتواؤها
•••
١٤- يُعيد بدايات الحضور انتهاؤه
و يلغي نهايات الغياب ابتداؤها
•••
١٥- سيخرج من طهر النساء رجالها
و يخرج من معنى الرجال نساؤها
•••
١٦- هما الحسنان الوارثان و زينبُ
التي قدَّ من قلب الوجود فداؤها
•••
١٧.وقد نُشّأت في الحب ترعى طقوسه
ويرعى تفاصيل الجمال حراؤها
•••
١٨. وكل جمال الحور بعض جمالها
عن العُربِ الأتراب زاد ارتقاؤها
•••
١٩.فمظهرها الأسمى النبيّ محمد
يُدقُ على طود السماء لِواؤها
•••
٢٠- وأحوالها ذكرٌ وصومٌ ولوعة
فمن شهد أوصال الحبيب دماؤها
•••
٢١- بها ريّ ذوق ثم وجدٌ وغيبة
إذا ما تجلّى في الفيوضات فاؤها
•••
٢٢- هي الوصل أسباب القبول و بابه
هي النفحات المستدامُ عطاؤها
•••
٢٣- فيا مُزنَ الجودِ الإلهيّ أمطري
مددنا أكف الوصل و هيَ رجاؤها
•••
٢٤- هناك أناخ الركب قرب ديارها
ليشرب من عين البقاء بقاؤها
•••
٢٥- تجاوزت حدّ العشق فيها وإنه
إذا لاح معنى الحب حان سخاؤها
•••
٢٦- يشاهدها قلبي فتحتل خاطري
و ترتع في صدر الظنون ظباؤها
•••
٢٧- وأزداد شوقا و انتماء ورعشة
يدثر تصديق اليقين رداؤها
•••
٢٨- بأيّ لسان أوثر الوصف إنني
صريعة شوق و الوصال دواؤها
•••
٢٩- أجيء وملئي نيّة فاطميةٌ
و أعني انتمائي حين يُعنى انتماؤها
•••
٣٠- أمرّ و رمل الشوق يترك لونه
عليّ كأني لحظة و انتهاؤها
•••
٣١- أسير إلى أن تأكل الخطوَ لهفتي
و أظمأ حين يشربَ الماءَ ماؤها
•••
٣٢- أتِمّ وضوئي للصلاة فإن أكن
تأخرت عن وقتي فهذا قضاؤها

يا فاطمة الزهراء

الطاهرة
Al-Tahirah